الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

جامعة د.مولاي الطاهر – سعيدة –

كلية العلوم الإجتماعية و الإنسانية

قسم العلوم الاجتماعية شعبة الفلسفة

مذكرة تخرج لنيل شهادة ماستر

تخصص: فلسفة إسلامية

المنهج التربوي الصوفي عند العلامة

الشيخ عبد القادر بن محمد بن سليمان بوسماحة

من خلال قصيدته التائية –الياقوتة–

إعداد الطالب: إشراف الأستاذ

- ميلودي أحمد - د-حفيان محمد

السنة الجامعية

1437/1436هـ/2015 – 2016م.

كلمة شكر وعرفان :

اقدم كامل الشكر والعرفان الى استاذي د. حفيان محمد ، الذي لم يبخل علينا بتوجيهاته وارشاداته طيلة فترة الدراسة وطيلة اشرافه على خطوات هذا البحث المتواضع ،

الشكر موصول له و لجميع أساتذتي و زملائي وكل محب وصديق ومن ساهم في انجاز هذا العمل من قريب او بعيد .

إهداء

اهدي هذا العمل المتواضع إلى روح والدي رحمه الله

إلى كل إخوتي وأخواتي

إلى جميع الأساتذة – فلسفة إسلامية–

إلى جميع الطلبة .

تعتبر التربية من المواضيع الهامة التي اعتنى بها علم التصوف؛ فهو العلم الذي يهتم بالجانب التربوي والروحي في النفس الإنسانية، ويمدها بطاقة وجدانية تحرره من نزوات المادةوشهوات النفس.

فمن المعلوم أن عصرنا هذا يعد عصر الأزمات الأخلاقية؛ والانحراف الخلقي والفراغ الروحي. وقد أصبحت الحاجَة تدعوا إلى الاستفادة من علم التصوف . وإلى تربية صحيحة وسليمة ذات أصول قرآنية ونبوية؛يمثلها اصحاب التصوف المعبرين عن الحقيقة الشرعية بدلا من الغلو في 'فكار الظاهرية التي لم تعد ذات صدى فعال في المجتمع المسلم فضلا عن غيره من المجتمعات التي تتطلع الى الاخلاق والتربية السليمة

وكما أشرنا آنفا بأن عصرنا هذا عصر الشهوة وعصر المادية وعصر النزوة، فلابد بأن نقابل هذه الأشياء بما يكافئها ويقابلها، لذلك فإن التربية الصوفية وحدها هي التي تقابل ذلك : فالشهوة لا يحل مشكلتها المقال وحده بل لابد من الحال ولابد من البيئة والتربية، والمادية لا تكافئها الكلمة وحدها بل لابد من الشعور والذوق والإحساسات الإيمانية مع المقال، والتمرد لا يعالج بالكلمة وحدها، بل يعالج بالإخبات إلى الله والتقوى والورع والأدب؛ وبالتالي فإننا بدون الاستفادة من تجربة الصوفية قد لا نستطيع أن نعالج الكثير من أمراض النفس البشرية التي عقدتها مسيرة الحياة وطبيعة العصر، فكما أن الكثير من المسائل اليومية احتجنا للإجابة عليها لرأي الفقيه، فإن الكثير من المسائل العقلية والروحية والنفسية نحتاج فيها لتجربة المجرب وسالك هذا الطريق.

وبذلك يبقى الحديث عن التربية الصوفية في وقتنا الراهن أمرا ملحا، والحاجة إليها ضرورة أكيدة، لأنها الكفيلة بتوجيه الإنسان نحو طريق الهداية والسمو الأخلاقي والرقي في مدارج السالكين.

ولقد مثلت قصيدة سيدي عبد القادر بن محمد بن سليمان بوسماحة انموذجا حيا متسلسل المراحل في معراج السائرين الى رب العالمين .

انطلاقا من تجربة الشيخ عبد القادر بن محمد بو سماحة الشخصية التي نقل مراحلها في القصيدة ، وكذا الطريق التي دعا اليها مبينا بداية الطريق في تخلية النفس من امراضها ، ثم تحليتها بالأخلاق الزكية، فالارتقاء في المقامات العلية ، الى الوصول الى درجات التجلي والتمكن، مبينا آداب كل مرحلة و واجباتها .

فمن الاتباع والوفاء بالعهد والمجاهدة في المرحلة الاولى ، الى حفظ السر وتوقي الشبهات في المرحلة الثانية ، إلى الاذن في كشف الانوار والاداب و الرد على ذوي الجحود والانكار.

وهو في كل ذلك متصل بالله متوكل عليه مستسلم لمراده ، شاهدا ان كل الذي هو فيه من فضل الله ومنه .

قال الشيخ :فاعلى مقام العارفين بربهم رضوان الاله ثم زائد نظرة

وذلك كله بفضل الهنا ينال بمن لا بكد أوحيلة

ثم ان لهذه التربية منهج متبع هو منهج التربية الاسلامية المبنية على كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، والذي يهدف الى بناء الفرد المسلم المتوازن بين قواه المادية والروحية الفعال

في مجتمعه ،المحب لوطنه ودينه المدافع عن مبادئه ، البالغ درجات الكمال الاخلاقي والمعرفي بالله تعالى، اقتداء برسول الاسلام عليه افضل الصلاة والسلام .

كما ان لهذا المنهج قواعد: فلا بد من شيخ يقتدى به له الاذن بالتربية من شيوخ الطريقة متسلحا بعلوم الشريعة والحقيقة متأدبا بآداب الطريقة ، يربي هذا الشيخ مجموعة من المريدين، ينتقل بهم في مقامات الوصول ويبين لهم احوالها حتى يصل بهم الى درجات الكمال الروحي، ووسيلته في ذلك انواع المجاهدات والاوراد والذكر المستمر متسلحا بأنواع من علوم الشريعة و الحقيقة ، مقتفيا اثر سالفيه على منهاج التربية الصوفية .

قال الشيخ : فبالاتباع نلنا المراتب والعلا وبالله ما حدنا عن شرع وسنة

ومنذ عقلنا سدد الله سعينا ومازلنا مقتفين نهج الشريعة

وفي هذا البحث حاولنا تحليل قصيدة الشيخ عبد القادر بن محمد بن سليمان بن بو سماحة واستخراج أهم مراحل الترقي في درجات التصوف ، وكذا المنهج المتبع في ذالك وأهدافه وقواعده مستعينين بالمصادر المتوفرة في شرح هذا المتن وما سطره أهل هذا الفن في هذا المجال متبعين في ذالك المنهج التحليلي التاريخي وكانت الخطة كالاتي :

اما الفصل الاول فكان مدخلا لتعريف التصوف لغة واصطلاحا ، ثم لمعرفة مراحله التاريخية حتى وصوله الى التصوف المذهبي او الطرقي المعروف حاليا، ثم التعريف بصاحب الطريقة الشيخية وهو الشيخ عبد القادر بن محمد بن سليمان بن ابي سماحة وقصيدته التائية وسند طريقته الصوفية.

اما الفصل الثاني فكان تحليلا للقصيدة التائية المسماة الياقوتة واستخراج مراحل السلوك والتربية الصوفية منها فكانت على ثلاث مراحل، مرحلة الاعداد الروحي ولانضمام الى جماعة واخذ الذكر وهي مرحلة الاعداد، الى مرحلة المشاهدات والتلقي وانفتاح البصيرة على عالم الملكوت، ثم مرحلة التمكن والكمال الروحي والولاية ،وما تتطلبه من صبر وكتم سر ومواجهة للخصوم وما يرافق هذه المراحل من آداب.

اما الفصل الثالث فكان التركيز على بيان اركان هذا البناء التربوي الصوفي وهو المنهج السني الاسلامي والشيوخ المربين وآدابهم والمريد وآدابه وما يتلقاه المريد من علوم واوراد وذكر يكون وسيلته في البلوغ الى الكمال المرجو من هذه التربية .

وقد انطلق هذا البحث من إشكالية أساسية هي : ما هو المنهج التربوي الصوفي عند الشيخ عبد القادر بن بو سماحة؟

ولحل هذه الاشكلية نجيب على الاسئلة التالية :

ما هي مراحل هذه التربية من خلال القصيدة؟

ما هو المنهج المتبع في التربية الذي عبرت عنه القصيدة؟

ما هي أهداف و نتائج هذه التربية على الفرد والمجتمع؟

– دوافع اختيار البحث :

وقد دفعني لدراسة محتوى هذه القصيدة وتحليلها حب الاطلاع على الفكر الصوفي و إعجابي بشخصية الشيخ عبد القادر بن محمد بن بو سماحة الذي لا زالت سيرته تملا الافاق واثاره تربي الاجيال .

ومن الدوافع الموضوعية للبحث :

1- التعرف على المنهج التربوي الصوفي من خلال الطريقة الشيخية ومن خلالها التعرف على خصائص التصوف في الجزائر والمغرب العربي .

2- الكشف عن الوجه المشرق والفعال لحركة التصوف في الجزائر.

3- ربط هذا العلم بمصادره الاولى من كتاب وسنة .

3- حاجت الناس في الوقت الحاضر الى التربية الصوفية الداعية الى الاخلاق والفضائل في مواجهة التطرف والانحلال والعنف .

4- تصحيح النظرة اتجاه التصوف وبيان دوره التاريخي في الحفاظ على الدين والوطن .

5- احياء الدراسة في مجال التصوف الايجابي من اجل الاستفادة منه في مجالات التربية والتعليم العامة .

6- إحياء موروثنا الحضاري والأدبي الصوفي البناء في الدراسات الأكاديمية من اجل التحليل وأعادت الطرح .

- صعوبات البحث :

1-صعوبة الوصول الى دراسات سابقة تعنى بموضوع التربية الصوفية في الطريقة الشيخية .

2- قلة المراجع في المكتبات الشارحة للقصيدة التائية وصعوبة الحصول عليها

3- الشروح المتوفرة للقصيدة بعض أصحابها غير مختصين في مجال التصوف فتكون شروحهم اما لغوية او شرح مصطلحات دون الإلمام بموضوع التربية الصوفية .

الفصل الأول
مدخل مفاهيمي

المبحث الأول :ماهية التصوفالإسلامي

المبحث الثاني : مراحل التصوف الاسلامي

المبحث الثالث : التعريف بالشيخ عبد القادر بن ابي سماحة

قد شكلت التربية الروحية بعدا إسلاميا عميقا، مثلته الحركة الصوفية بروادها ومؤلفاتها شيوخها الذين كانت لهم الريادة في توجيه المجتمع المسلم إلى الأخلاق الفاضلة والقيم الإنسانية النبيلة ، وربط الأجيال بالوحي السماوي والقدوة الصالحة الفاعلة المتصلة بالحقيقة الشرعية كما مثلها رسول الإسلام محمد صلى الله عليه وسلم.

فمنذ بدأ الإسلام بدأ التصوف، متمثلا في الزهد الذي دعا اليه القران الكريم في نصوصه العديدة مثل قوله تعالى " قل متاع الدنيا قليل والاخرة خير لمن اتقى " النساء الاية77، وقول الرسول صلى الله عليه وسلم " كن في الدنيا كانك غريب او عابر سبيل "رواه البخاري، و قوله صلى الله عليه وسلم " ازهد في الدنيا يحبك الله وازهد فيما فيما في ايدي الناس يحبك الناس " رواه بن ماجه. ثم مثل ذلك سيرة الصحابة والتابعين ومن بعدهم الزهاد الذين تميزوا باسم الصوفية .

المبحث الاول : تعريف التصوف

أ- اشتقاق كلمة التصوف:اختلف العلماء حول اشتقاق مصطلح التصوف إلى عدة أقوال،كلها لم تسلم من الانتقادات والاعتراضات ، وترجع كلمة التصوف الى فعل صوّف جعله صوفيا، وتصوّف صار صوفيا، أي تخلق بأخلاق الصوفية. و" الصوفية فئة من المتعبدين، واحدهم الصوفي "[1].

وكلمة التصوف بهذا الاطلاق لم تكن معروفة في اللغة العربية مما يجعلها مستحدثة خرجت عن العرف اللغوي وغلب عليها العرف الاصطلاحي لتحمل معاني اوسع،قال القشيري رحمه الله "وليس يشهد لهذا الاسم من حيث العربية قياس ولا اشتقاقوالظاهر أنه كاللقب "[2].

وسئل الشبلي رضي الله عنه لم سميت الصوفية بهذا الاسم فقال : "هذا الاسم الذي اطلق عليهم اختلف قي أصله وفي مصدر اشتقاقه ولم ينته الرأي فيه الى نتيجة حاسمة بعد "[3].

ومن أقدم الآراء التي قيلت ما ذكره البيروني من ان هذا اللفظ انما هو تحريف لكلمة"**سوف**"اليونانية التي تعنيالحكمة ،ولقد رد الدكتور عبد الحليم محمود هذا القوللأنه: "لا يستقيم لسبب بسيط، وهو أن التسمية "بالصوفي" كانت موجودة قبل ترجمة الحكمة اليونانية إلى

1- المنجد في اللغة والأعلام، دار الشرق، بيروت، لبنان، الطبعة38، سنة 2000م، ص:441

2- ابو القاسم القشيري، الرسالة القشيرية، ت: د.عبد الحليم محمود مطابع مؤسسة دار الشعب القاهرة 1989م ص: 464

3- عبد الحليم محمود، قضية التصوف: المنقذ من الضلال ،دار المعارف ،القاهرة ،ط05 ،ص29

اللغة العربية، أي منتصف القرن الثالث الهجري على اقل تقدير، مع ان الكلمة –أي الصوفي– عرفت قبل ذلك بكثير"[1].

وان كان المقصد من هذه الكلمة مرتبط بما يطلبه الصوفية من مجاهداتهم، وهو الوصول الى الحكمة واصل الحكمة معرفة الله والله هو مصدر الحكمة .

وقيل: إن كلمة التصوف تشير إلى" أهل الصفّة" والصفّة مكان في مؤخرة المسجد النبوي كان يأوي اليها فقراء المهاجرين ريثما تتحسن احوالهم المادية ، وقد عرفوا بالمجاهدات والزهد وطلب العلم وقد مدحهم الله تعالى فقال لنبيه صلى الله عليه وسلم : {واصبِرْ نفسَك مع الذين يدعونَ ربَّهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ولا تعدوا عيناك عنهم } الاية28من سورة الكهف.

والذين يربطون التصوف بأهل الصفة يرون لمتصوفة اشبه بهم في انقطاعهم عن الدنيا وكثرة المجاهدة والفقر.واعتُرض على هذا القول بأن الصُفَّة لا تجيء على نحو الصوفي ، بل المنسوب إلى الصفة في علم الصرف يقال له "صفيّ" وليس "صوفيّ."

وقيل هي من "الصفّ" فكأنهم في الصف الأول بقلوبهم من حيث حضورهم مع الله تعالى.

فالمعنى صحيح كما قال القشيري، ولكن يعترض عليه أن اللغة لا تقتضي هذه النسبة إلى الصف[2].

1–عبد الحليم محمود، قضية التصوف: المنقذ من الضلال ،المرجع نفسه،ص30.

2–ابو القاسم القشيري ،الرسالة القشيرية،المرجع السابق ،ص: 464

ومن نظر الى ظاهر ما اشتهروا به يقرن نسبتهم الى"الصوف" الذي كان لبسه علامة على ممارسة الزهد في الحياة والتقشف في الدنيا والاعتكاف على العبادة والصلاة والدعاء.ونسبوا إلى لبس الصوف الخشن، لأن الصوفية كانوا يؤثرون لبسه للتقشف.

لكن الاعتراض هو ان "القوم لم يختصوا بلبس الصوف" [1].

ثم انها نسبة ترد اهل التصوف الى الظاهر والشكل و تبعدهم عن الحكمة الالهية وتجردهم من الفضيلة [2].

فمن نظر الى بواطنهم ربط التصوف بالصفاء والصفو، فالمتصوفة ليس لهم من شغل سوى صفية قلوبهم من أدران الجسد وشهوات الحياة قصد تحقيق الصفاء الروحي.

ورد القشيري هذا القول لانهبعيد في مقتضى اللغة[3]. ذلك ان كلمة الصفاء أو الصفو تنسب إلى "صفويّ" وليس إلى "صوفي."

والراجح رجوع كلمة "التصوف"الى "الصوف" وهي أقرب في الدلالة الاشتقاقية اللغوية.

1- ابوالقاسمالقشيري،الرسالةالقشيرية،المرجعالسابق،ص464

2- عبدالحليممحمود،قضيةالتصوف،المرجعالسابق،ص 33

3- ابوالقاسمالقشيري،الرسالةالقشيرية،المرجعالسابق،ص 465

يقول أحمد أمين في كتابه "ظهر الإسلام":" وقد اختلف الناس في نسبة الكلمة هل هي من الصفة، أو من الصفاء، أو من صوفيا وهي باليونانية بمعنى الحكمة. أو من الصوف ونحن نرجح أنها نسبة إلى الصوف لأنهم في أول أمرهم كانت هذه الفرقة تلبس الصوف اخشيشانا وزهادة"[1].

وهذا هو نفس رأي ابن خلدون الذي قال: "قلت والأظهر إن قيل بالاشتقاق أنه من الصوف وهم في الغالب مختصون بلبسه لما كانوا عليه من مخالفة الناس في لبس فاخر الثياب على لبس الصوف"[2].

ومهما يكن فإن هذه الطائفة – كما قال القشيري – أشهر من أن يحتاج في تعيينهم إلى قياس لفظ واستحقاق اشتقاق[3] .

وعلى كلٌّ فالصوفي من صفته ان يكون في الصف الاول في اجابة امر ربه، متمثلا في ذلك اهل الصفة من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، صافي القلب، ساعيا في طلب الحكمة من الله بالمجاهدة والزهادة في الدنيا اذافلا مشاحة في الألفاظ، والأمر الأهم في هذه المسألة هو النظر إلى المعاني والدلالات التي يكتنزها هذا الاطلاق.

1- أحمدأمين: ظهرالإسلام،المجلد 2،دارالكتابالعربي،بيروت،لبنان، 1969م،ط05 ،ص:149.

2- عبد الرحمن ابنخلدون،مقدمةابنخلدون،دارالفكر،بيروت،لبنان،1988م ،ط02 ،ص:467

3- عبدالكريمبنهوازنالقشيري،الرسالةالقشيرية،المرجع السابق،ص464

فيمكن ان يسمىالتصوف :الجانب الروحي في الإسلام، أو الجانب الإحساني، أو الجانب الأخلاقي، مما يتفق مع حقيقته وجوهره؛ إلاَّ أن العلماء قد توارثوا اسم التصوف وحقيقته عن أسلافهم منذ صدر الإسلام حتى يومنا هذا، فصار عُرفاً فيهم.

ب– تعريف التصوف اصطلاحا:اختلفت الآراء في تعريف التصوف على حسب أذواق المعبّرين عنه حتى بلغت حدا كبيرا ، يقول الشيخ زروق فيقواعده: "وقد حُدَّ التصوف ورِسم وفُسر بوجوه تبلغ نحو الألفين، مرجعها كلها لصدق التوجه إلى الله تعالى، وإنما هي وجوه فيه"[1] .

فمنهم من يربطه بالاخلاق كمفهوم عام يشمل السلوك مع الخلق ومع الحق ،يقول الجنيد رحمه الله في تعريف التصوف: "الخروج عن كل خلق دني، والدخول في كل خلق سني"

وقال ايضا "هو ان يميتك الحق عنك ويحييك به " ،وقالسمنون: " التصوف الا تملك شيئا ولا يملكك شيئ" ،وقال الشبلي " الصوفي منقطع عن الخلق متصل بالحق " [2].

نما يرده بن خلدون الى أصله وهو الزهد في الدنيا وملذاتها فيقول هو: "العكوف على العبادة والانقطاع إلى الله تعالى والإعراض عن زخرف الدنيا وزينتها والزهد فيما يقبل عليه الجمهور من لذة ومال وجاه والانفراد عن الخلق في الخلوة للعبادة"[3].

1– ابو العباس احمد بن احمد زروق الفاسي البرنسي، قواعد التصوف ،تح :عبد المجيد خيالي ،دار الكتب العلمية ،بيروت ،(ب،ط)،ص 21.

2– عبد الكريم بن هوازن القشيري، الرسالة القشيرية، المرجع السابق، ص467

3–عبدالرحمنبنخلدون،مقدمةابنخلدون،المرجع السابق،ص467،

من خلال هذه التعاريف يتضح أن التصوف يهتم بتصفية الباطن من الأمراض، وتعميره بالصفات الفاضلة، من أجل التقرب إلى الله تعالىفهو عبارة عن رحلة روحانية أو سفر معراجي ،له بداية ونهاية ووسط، فالبداية هي التطهير والهروب من الدنيا الزائفة، والوسط هي الخلوة والرياضة الروحية والمجاهدة الصوفية، أما النهاية فهي اللقاء والوصال .

قال د.عبد الحليم محمود :"وما من شك في ان تعاريف التصوف الكثيرة التي تجدها منثورة هنا وهناك والتي تكاد تبلغ الألف، انما تعبر في اغلب الأحايين عن زاوية من زوايا التصوف، تتصل بالوسيلة او تتصل بالغاية، فلا يمكن ان يقال عنها اذا ما كانت كذلك انها خطأ تام ،ولكن الخطأ إنما هو في أخذها عل نها تعبر عن الحقيقة الكاملة ،اما ما يعبر عن الحقيقة الكاملة فانما هو تعريف "الكتاني": التصوف صفاء ومشاهدة "[1].

فالتعاريفالكثيرةالتيذكرهااهلالتصوفلايعبرالواحدمنهاالاعنوجهةنظرصاحبهاوممارستهوماتذوقهمنخلالتجربتهولاتعبربالضرورةعنالتصوففيمفهومهالعام .

2- مواضيع التصوف:

تنحصر مواضيع التصوف في أربعة أغراض أساسية فصلها ابن خلدون في مقدمته:

1- لمجاهدات ومايتحصل من الأذواق التي تصير مقاما ويترقى منه إلى غيره، قال :" فأما الكلام دات و المقامات و ما يحصل من الأذواق والمواجد في نتائجها و محاسبة النفس على

1- عبدالحليممحمود،قضيةالتصوف،المنقذمنالضلال،المرجع السابق، ص47.

بر في أسبابها فأمر لا مدفع فيه لأحد و أذواقهم فيه صحيحة و التحقق بها هو عين السعادة" ".[1]

هي وسيلتهم في تربية نفوسهم وتهذيب اخلاقهم ،و هي معراجهم الى الله ، يتفاوتون فيه بحسب اخلاصهم واجتهاهم لا يدرك قيمتها الا من سار سيرهم .

2- الكشف والتجليات وعالم الغيب ،قال ابن خلدون :"و ثانيها الكلام في الكشف والحقيقة المدركة من عالم الغيب مثل الصفات الربانية و العرش و الكرسي والملائكة و الوحي و النبؤة و الروح و حقائق كل موجود غائب أو شاهد و تركيب الألوان في صدورها عن موجودها و تكونها"[2]

ثم بين ان كلامهم عن هذه العوالم متشابه لاتصاله بالوجدان والاذواق ومن لم يدرك ذوقهم لم عبارتهم بل اللغة عاجزة عن الدلالة على مرادهم لانها وضعت للتعارف واكثره من المحسوسات فينبغي الا نتعرض لكلامهم فيها حتى نرزق فهمه وفق الشريعة، وهو يحاول طلب العذر لهم ما يذهبون اليه في بعض المعارف التي يرى الفقهاء انها لاتتناسب والنصوص الشرعية في الظاهر .

1- ابنخلدون،مقدمةابنخلدون،المرجعالسابق،ص 474

2- المرجع نفسه،ص474

قال " فينبغي أن لا نتعرض لكلامهم في ذلك و نتركه فيما تركناه من المتشابه و من رزقه الله فهم شيء من هذه الكلمات على الوجه الموافق لظاهر الشريعة فأكرم بها سعادة".[1]

3- الكرامات وخوارق العادات قال:" و أما الكلام في كرامات القوم و أخبارهم بالمغيبات و تصرفهم في الكائنات. فأمر صحيح غير منكر. و إن مآل بعض العلماء إلى إنكارها فليس ذلك من الحق".[2]

4- الشطحات : وهي عبارات واقوال صدرت منهم تستشكل ظواهرها ،قال ابن خلدون يفصل القول فيها :" و أما الألفاظ الموهمة التي يعبرون عنها بالشطحات و يوآخذهم بها أهل لشرع فاعلم أن الإنصاف في شأن القوم أنهم أهل غيبة عن الحس و الواردات تملكهم حتى ينطقوا عنها بما لا يقصدونه و صاحب الغيبة غير مخاطب و المجبور معذور. فمن علم منهم فضله و اقتداؤه حمل على القصد الجميل من هذا و أمثاله و أن العبارة عن المواجد صعبة لفقدان الوضع لها كما وقع لأبي يزيد البسطامي و أمثاله. و من لم يعلم فضله و لا اشتهر فموآخذ بما صدر عنه من ذلك إذا لم يتبين لنا ما يحملنا على تأويل كلامه. و أما من تكلم بمثلها و هو حاضر في حسه و لم يملكه الحال فموآخذ أيضا" .[3]

1- ابن خلدون ، المقدمة ، المرجع السابق ،ص 475

2- المرجع نفسه ، ص 475

3-المرجع نفسه ،ص475

المبحث الثاني :مراحل التصوف الإسلامي:

1- مرحلة النشأة :

ظهر التصوف مع ظهور الاسلام في القرن الاول الهجري كسلوك يدعوا الى الزهد في الدنيا والاقبال على الاخرة وكذا الاستغراق في حب الله وتعظيمه بامتثال اوامره واجتناب نواهيه على وفق ما دعى اليه رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم اذ كان يمثل النموذج الاول في الزهد ثم الصحابة رضي الله عنهم الذين اخذوا عنه وقتدوا به ومن اهمهم الخلفاء الراشدون الاربعة رضوان الله عليهم، واهل الصفة من فقراء المهاجرين ، كل على حسب مفهومه للزهد في الدنيا والاقبال على الله ، ثم خلفهم على ذالك الطريق مجموعة من الزهاد الذين كانوا يعتبرون بقواعد الشرع الإسلامي من قرآن وسنة وإجماع، مع ما لهم من وجدان وكشف عن صدق واخلاص.

يقول الإمام القشيري: "اعلموا أن المسلمين بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يَتَسمَّ أفاضلهم في عصرهم بتسمية علم سوى صحبة الرسول عليه الصلاة والسلام، إذ لا أفضلية فوقها، فقيل لهم الصحابة والتابعين، ثم اختلف الناس وتباينت المراتب، فقيل لخواص الناس ممن لهم شدة عناية بأمر الدين الزهاد والعُبَّاد، ثم ظهرت البدعة، وحصل التداعي بين الفرق، فكل فريق ادعوا أن فيهم زهاداً، فانفرد خواص أهل السنة المراعون أنفسهم مع الله سبحانه وتعالى، الحافظون قلوبهم عن طوارق الغفلة باسم التصوف، واشتهر هذا الاسم لهؤلاء الأكابر قبل المائتين من الهجرة"[1].

---

1 – عبد الكريم بن هوازن القشيري ،الرسالة القشرية ،المرجع السابق ،ص 20

ولم يظهرالتصوف في العالم الإسلاميجليا الا في القرن الثاني الهجري وخاصة بعد الفتوحات الإسلامية وانتشار الرخاء والغنى والجاه في البيئة الإسلامية ، فاختلط الناس بالحياة وأقبلوا على متع الدنيا وزينتها . فظهر كثير من العلماء والأتقياء تركوا الدنيا وانعزلوا عن الناس والسلاطين واختاروا الخلوة واتبعوا طريق الشرع والهدي النبوي وجعلوه مسلكا لهم في التعبد والمحاسبة والعبادة والاعتكاف.

فمن عوامل ظهور التصوف وتميز اهلههو الرد على تلك الأوضاع غير المرضية التي مرتبها الأمة الإسلامية. أما التصوف كحياة ومضمون؛ فكان منذ عصر النبوة.

يقول ابن خلدون: "هذا العلم . يعني التصوف . من علوم الشريعة الحادثة في الملّة؛ وأصله أن طريقة هؤلاء القوم لم تزل عند سلف الأمة وكبارها من الصحابة والتابعين ومَن بعدهم طريقة الحق والهداية، وأصلها العكوف على العبادة والانقطاع إلى الله تعالى، والإعراض عن زخرف الدنيا وزينتها، والزهد في ما يقبل عليه الجمهور من لذة ومال وجاه، والانفراد عن الخلق، والخلوة للعبادة، وكان ذلك عامًّاً في الصحابة والسلف. فلما فشا الإقبال على الدنيا في القرن الثاني وما بعده وجنح الناس إلى مخالطة الدنيا اختص المقبلون على العبادة باسم الصوفية والمتصوفة"[1] .

و يتبين لنا من خلال النصوص السابقة أن التصوف عاشه النبي صلى الله عليه وسلم، وتربى في أحضانه الصحابة الكرام وأتباعهم، وتسلسل فيهم حتى أصبح علما قائما بنفسه، له أصوله

1– ابن خلدون: المقدمة،المرجع السابق ،ص:989

ومصطلحاته ورجالاته. فلم يكن ثمَّة ما يدعو إلى تلقينهم علماً يرشدهم إلى أمرٍ هُم قائمون به فعلاً،فالصحابة والتابعون . وإن لم يتسموا باسم المتصوفة .كانوا صوفيين فعلاً وإن لم يكونوا كذلك اسماً.

و في القرن الثاني الهجري توسعت الخلافة الاسلامية، ودخل فيها امم شتى، وتوسعت دائرة العلوم واختص كل اصحاب فن بفنهم وبدات حركت التدوين ، فدون النحو والفقه والحديث والتفسير وقام كل فريق بتدوين ما يجيده اكثر من غيره من العلوم ،قام علماء التصوف بتدوين علومهم لما راو الحاجة الى بيان اصولها وفروعها " ..ومن أهم كتاب التجربة الصوفية وجامع نصوصها في هذه المرحلة نستحضر القشيري في رسالته، وفريد العطار في "تذكرة الألباب" ،والطوسي في كتابه "اللمع"... ويبقى الحارث المحاسبي هو العميد الأول للتصوف السني، لكونه لم ينحرف في عملية التأويل ولم يغال فيها "[1] .

ومن أهم المتصوفة في القرن الثاني الهجري نذكر: إبراهيم بن الأدهم وداود الطائي والفضيل بن عياض وشقيق البلخي ومعروف الكرخي المتوفى سنة 200هـ، وابن سليمان الداراني المتوفى سنة 215 هـ.وسري السقطي (253هـ) ، والجنيد المتوفى سنة 297هـ الذي يعد أول من صاغ المعاني الصوفية وكتب في شرحها، والغزالي في القرن الخامس الهجري الذي وفق بين الشريعة

[1]– عابد الجابري: بنية العقل العربي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، الطبعة 01، 1986م، ص:311

والحقيقة وقام بعقد الصلة بين الخطاب الفقهي والخطاب الصوفيالوجداني. وقد تجلى هذا التوفيق واضحا في كتابيه: "المنقذ من الضلال"، وكتابه: "إحياء في علوم الدين"

فأصبح التصوف منذ القرن الثاني، علما مستقلا بذاته عن بقية العلوم له قواعده وشيوخه، الذين وضعوا مدونات للتعريف به واستمداده من الشرع، وقواعده وثماره... على غرار ما فعل شيوخ العلوم الأخرى. يقول ابن خلدون: "وصار علم التصوف في الملة علما مُدَّونا بعد أن كانت الطريقة عبادة فقط، وكانت أحكامها إنما تتلقى من صدور الرجال، كما وقع في سائر العلوم التي دونت بالكتاب من التفسير والحديث والفقه والأصول وغير ذلك"[1].

ومن أهم قواعد التصوف في القرون الاولى والذي سمي تصوفا سنيالالتزامه بالنص أيالقرآن والسنة والإجماع، واحترام خصوصيات الشرع في تأويل الظاهر والباطن وعدم إظهار ذلك لعامة الناس مع تطبيق شعائر الدين والسعي في الدنيا بحثا عن الرزق وتمجيد العمل والشغل،

فالتصوف السنييأخذ مبادئه وتعاليمه ومجاهداته الذوقية من المصادر الداخلية للفكر الإسلامي أي من القرآن والسنة.

2- مرحلة التاثر:

وفي عهد الدولة العباسية ومع توسع الفتوحات واختلاط كثيرمن الشعوب والأجناس مع العرب المسلمين (الفرس والهنود والروم...)، وازدهار حركة الترجمة بتأسيس بيت الحكمة في عهد

1-ابن خلدون،مقدمة بن خلدون ،المرجع السابق ، ص991.

المأمون لنقل الفكر اليوناني، وانتشار المدارس الدينية والفلسفية في معظم أرجاء الخلافة الإسلامية، ساعد كل هذا في تلقيح التصوف الإسلامي بملامح خارجية وجعلته متأثرا بالأفكار الأجنبية .

وفي هذا يقول أحمد أمين: "ولكن لما فتحت الفتوح الإسلامية واختلطت الثقافات المختلفة وكانت تموج في المملكة الإسلامية الفلسفة اليونانية، وخاصة الأفلاطونية الحديثة والنصرانية والبوذية والزرادشتية، وجدنا أن هذا الزهد وهذا الحب الإلهي يتفلسفان، وتتسرب إلى التصوف بعض تعليمات من كل هذا...كل هذه كانت تتسرب منها تعاليم إلى التصوف بعد عصره الأول"[1] .

واخذت بعض المفاهيم في هذا العصر والتي هي من اصول السلوك الاسلامي والتزكية التي دعا اليها الاسلام تاخذ طابعا فلسفيا وبعدا تنظيريا، فقد سار يعبر عن الاستغراق التام في حب الله والوله به بالفناء في الله وهيتحيلعلىفكرةالاتصالباللهوالتفكيرفيه .

"وقوام هذه النظرية التي انتشرت بين الفلاسفة المتصوفين أن الفناء يتخذ مظهرين: الأول بتغير أخلاقي تبتعد فيه الروح عن أدران الجسد والابتعاد عن الشهوات ولذات الحياة، والمظهر الثاني ينصرف الفكر فيها عن كل الموجودات إلى التفكير في خالقها وموجدها والاتصال به عرفانا. ومن ثم، فالمظهر الأول نفساني والثاني عقلاني"[2].

1- أحمد أمين، ظهر الإسلام، المرجع السابق ،ص151

2- المرجع نفسه ، ص:155،

لكنالتعبيرعنالفناءباتهنظرية اخترعهااحدالمتصوفةيخرجهعنكونهعبادةالكونهمجموعة من الأفكار الشخصية التي قد لا ترتكز على شرع مما يحيلنا الى القول ان التصوف هو شيئ غير الإسلام .بينما هو تعبير عن مكنون ربما لم يعمم ممن قبل وان كان موجودا .كما هو حال كثير من المصطلحات الصوفية التي بدات تخرج الى الوجود كتعبير عن حالة الوجد التي طالما

خالجة الصوفي ،"كما ظهر الكلام في المقامات والأحوال وخاصة عند ذي النون المصري"[1] .

وهي إن المريد أو السالك لابد أن يمر بمجموعة من الأحوال والمقامات في سفره الروحي ومعراجه الصوفي لكي يصل إلى الحقيقة القائمة على التجلي وانبثاق النور الرباني والانكشاف الإلهي. ويسمى الذي يعبر هذه المراحل بالسالك وعملية السلوك تسمى سفرا أو حجا، وسميت المراحل بالمقامات والصفات الموهوبة أحوالا.

وقد جعلها الطوسي في كتابه" اللمع" سبعا، كل مقام يسلم لمقام آخر بشكل متتابع، "وهذه المقامات هي: مقام التوبة، ومقام الورع، ومقام الزهد، ومقام الفقر، ومقام الصبر، ومقام التوكل، ومقام الرضى

أما الأحوال فمنها: المراقبة والقرب والمحبة والخوف والرجاء والشوق والأنس والطمأنينة والمشاهدة واليقين. وبالتالي، فالأحوال مواهب والمقامات مكاسب"[2].

1- ـ أحمدأمين،ظهرالإسلام،المرجعالسابق، ص 156

2- ابو نصر السراج الطوسي ، اللمع ،تح :عبد الحليم محمود وطه عبد الباقي سرور، دار الكتب الحديثة بمصر1960م، (ب،ط)،ص65.

كما ظهرت كثير من الاقوال والأبيات الشعريةالتي تدخل ضمن ما يسمى "الشطحات" والتي كان يرفضها الفقهاء ،بسبب كونها تخرج عن مألوف الشرع وتوهم بما لا يجوز وقد التمس لهم كثير من العلماء العذر كما هو حال ابن خلدون وغيره كونهم يتكلمون تحت غلبت ما هم فيه من وجد اشتياق .

3- التصوف المذهبي أو الطرقي:

الطريقة معناها في اللغة "السيرة والمذهب يقال : ما زال فلان على طريقة واحدة اي على حالة واحدة وفلان حسن الطريقة والطريقة الحال "[1].

ويعرفها الصوفية بأنها: السيرة المختصة بالسالكين إلى الله – تعالى – من قطع المنازل والترقي في المقامات.

والطريقة اصطلاحا: : "هي السيرة المختصة بالسالكين الى الله تعالى من قطع المنازل والترقي في المقامات"[2].

وترجع الطريقة الى ما ياخذ به احد المشايخ نفسه ويلزم به مريديهمن فهم في الدين وطريقة في الذكر واخذ العهد والسلوك العام في ترتيب الاوراد ، فتنسب اليه فيقال الطريقة القادرية والتيجانية و الشاذلية وغيرها .ذلك" ان الصوفية لهم طريق روحي يسيرون فيه وهذا الطريق يعتمد اساسا

1- لسان العرب ابن منظور دار صادق للطباعة والنشر بيروت 1968 ج09 ص221 ،

2- عبد الرزاق الكاشاني، معجم اصطلاحات الصوفية ، ت: د. عبد العال شاهين، دار المنار1992م ط 02 ص85.

ومنهجا وغاية على القران الكريم والسنة النبوية الشريفة ...وهذا الطريق قد جربه الصوفية فثبتت ثماره، وجوهره هو ما سماه الصوفية المقامات والاحوال "[1].

والطرق الصوفية :هي مدارس في التزكية والتربية متفرعة من بعضها ومرتبطة بواسطة السند المتصل، وهي ليست فرقاً إسلامية، والاختلاف بينها إنما هو في طريقة التربية والسلوك إلى الله .

فبعد أن كان التصوف سلوكا فرديا انتقل ليكون مسلكا جماعيا، فكل مريد محتاج الى من يدله على الطريق ويسلك به دروبها ويقيه مهالكها ويعطيه القدوةويرتقي به عبر مقامات السلوك في هذا المعراج الروحي حتى يصل الى المعارف اللدنية من التكوين حتى التمكين ، ومن هنا ظهرت طرق ومذاهب صوفية كثيرة تنسب إلى شيخ بعينه أو قطب بارز له أتباع كثيرون يتبعون مسلكه ،ثم ينتقل مشعل الوراثة الصوفية أو سبحة الولاية من شيخ إلى آخر بعد الإجازة والتوصية.

وقد انتشرت في العالم الإسلامي كثير من الطرائق الصوفية قديما وحديثا واقترنت بالزوايا والروابط والمساجد.

وكذلك الحال في المغرب العربي ،الذي كان يتأثر بما يحدث في المشرق الاسلامي ،وكان ايضا مؤثرا بارزا فيه،فأقطاب التصوف الاسلامي انما هم من المغرب الاسلامي كمحي الدين ابن

1– عبدالحليم محمود ،قضية التصوف ،المنقذ من الضلال ، المرجع السابق،ص47.

عربي ، وابي الحسن الشاذلي ، وعبد السلام بن مشيش ، وابو مدين شعيب ، احمد التيجاني وغيرهم كثير.

"اما في الجزائر فان انتشار الطرق الصوفية وتعددها وتفرعها يعود الى القرن الثامن الهجري، وباستثناء الطريقتين القادرية والشاذلية اللتين كانتا موجودتين قبل قدوم العثمانيين الى الجزائر، فان الطرق الصوفية الاخرى اخذت بعد مجيئهم في الانتشار..." [1].

من هذه الطرق الاصيلة في الجزائر الطريقة "الشيخية " وهي فرع عن "الشاذلية"

والطريقة الشيخية أسسها سيد الشيخ عبد القادر بن محمد بن سليمان بن ابو سماحة ،والتي تنتشر بغرب الجزائر وصحرائها ،والتي كانت لها مساهمة كبيرة في تمكين الدين والثوابت الوطنية في مواجهة الاستعمار والتغريب ،وكان منها المقاومون للمد الاستعماري الفرنسي، ومن قبله الاحتلال الاسباني لسواحل وهران .

المبحث الثالث : التعريف بالشيخ عبد القادر بن بو السماحة

1- مولده ونشأته :

قال الشيخ : فإنني عبد القادر بن محمد سليل ابي الربيع نجل السماحة

ولا فخر غير اني عبد لقادر واحمد تاج الرسل اقوى وسيلتي

1– صلاح مؤيد العقبي ،الطرق الصوفية والزوايا بالجزائر ،دار البرق، بيروت ،لبنان 2002م ، ص131

كانت الفترة التي ولد فيها الشيخ تعج بالاحداث التي كانت اصابت المغرب العربي وخاصة احتلال الاسبان للسواحل الجزائرية وهران وبجاية وعملية السلب والنهب والتنكيل بسكان المناطق الساحلية والتعدي على المقدسات الاسلامية وتحويل المساجد الى كنائس واسطبلات مما اثار حمية الجهاد في الامة الجزائرية وكان قادة هذا الجهاد هم العلماء الصوفية ومريديهم واتباعهم فكانت الزوايا مراكز دعم وامداد للمجاهدين ومقدموا الزوايا مقدمون مع شيوخهم في حرب الغزات

كما استدعى هذا الغزو الصليبي التدخل من طرف الدولة العثمانية بدعوة وترحيب من علماء الجزائر على اعتبارهم مسلمينقدموا للنجدة .

وكان احتلال الاسبان للمرسى الكبيربوهران 1509م ،ثم استولوا على وهران في ماي 1510م ، في هذه الاجواء المليئة بالشحن الى الجهاد ومقارعة الغزاة ولد ونشأ الشيخ عبد القادر بوسماحة. وقد كان له نصيبه هو ومريديه وزاويته واتباعه وقبيلته في هذه الحروب وكانت وفاته جراء جراحات معاركه مع الاسبان[1].

[1]– عبد الله حمادي الادريسي ،الامام احمد ابن ابي المحلي مهدي ،دار بوسعادة للنشر والتوزيع ، 2013م ،ط01،ج1،ص 271.

كان والده محمد من اهل الزهد والفضل وكان جده سليمان بن ابي سماحة دفين بني ونيف وهي بلدة تقع في الجنوب الغربي الجزائري عالما خيرا ومتصوفا عملا لايسمع عنه من الخير الاما يطيل جيده ويرتفع به بنده[1].

توفي سيدي سليمان بن ابي سماحة الولي الصالح ابوالربيع عام 946هـ/1540م بزاويته ببني ونيف بالجنوب الغربي الجزائري . وهو من ابرز تلاميذ سيدي احمد بن يوسف الراشدي المليانى الذي اخذ عنه الكثير الطريقة الصوفية التي من مريديها الشيخ عبد القادر السماحي حفيد ابي الربيع المعني بالترجمة[2].

اما الشيخ عبد القادر فمن مواليد الشلالة الظهرانية عام 940هـ/ 1533م بلدة قريبة من ولاية البيض الجزائرية تربي وتعلم وفق السنن المتبعة من حفظ القران الكريم والمتون الضروريةوكان يتميز بنجابة وحدة خاطر وتوقد ذكاء اعترف له بها خصومه اخد العلم بفجيج من اعلامها النبهاء وكان يصحب والده الى حلقات العلامة محمد بن عبد الجبار دفين قصر المعزبفقيقوهي بلدة حدودية تتبع للمملكة المغربية قريبة من بني ونيف الجزائرية[3].

1- محمد بن معروف بن ابي شنافة ، تاج الياقوت وسر الناسوت (ت.ح):بن علي محمد بوزيان، مطبعة دار النشر الجسور وجدة المغرب ط01 2009م ص 01.

2- عبد الله حمادي الادريسي المرجع السابق ص 268

3- محمد بن معروف الشنافي تاج الياقوت وسر الناسوت ،المرجع السابق، ص01

والشيخابو القاسم محمد بن عبد الجبار بن احمد اللفقيقي هو من اعلام فقيق بالصحراء المغربية فقيه مغربي من بيت بني عبد الجبار المشهور في فجيج بالعلم والدين واقتناء الكتب اخذ ببلده عن والده ورحل الى فاس ومراكش وتلمسان وتجول ببعض الاقطار المشرقيةوأخذ عن جملة من اكابر العلماء كمحمد ابن غازي واحمد الونشريسي واحمد الدفون ومحمد السنوسي ومحمد ابن مرزوق وعلي القلصادي واخد التصوف عن محمد بن علي البكري وكان محدثا وفقيها تولى في مسقط راسه الافتاءوالقضاء والتدريس والعنايه بالطلبة والواردين على زاوية جده من مختلف جهات الصحراء توفي عام 1021هـ/ 1612م[1] .

اما طريق القوم فقد سلكه على يد الولي الصالح مربي السالكين الشيخ محمد بن عبد الرحمن السهلي الذي اسس زاويته الشاذلية بالمكان المسمى " السهول " وكان الشيخ عبد القادرمناخلص تلامذته واحفظهم لوده وذكره كما يتبين من مناقبه ولم يكن يدانيه في هذا الاخلاص سوى تلميذه الاخر احمد بن موسى الكرزازي المتوفي عام 1013هـ

وفي حق هذا الشيخ يقول الكرزازي سيدي أحمد بن موسى :"اما سيدي محمدبن عبد الرحمن السهلي ثم الجيري فهو شيخ جليل عظيم القدر صاحب كشف وحقائق له همه عالية ومهابة عظيمة مجدوب من اوله الى اخرة وكان مجلسه يملأه الحسن يستدل بالصانع على المصنوع ويواجه

1- عبد الله حمادي الادريسي،الامام احمد ابن ابي المحلي مهدي،المرجع السابق، ص141

كل من جاء اليه بحاجته لا يخاف في الله لومة لائم يامر الناس بالخلق العظيم والطبع المستقيم اقبلت الناس عليه وانتفع بصحبته كل من صاحبه"[1].

وباذنمن شيخه المذكور اسس زاويته الرئيسة بفجيجفي المكان المسمى "بالعباد" ثم بالمكان المسمى "السهلي" لم يطب له المقام هناك فرحل الى بلاد الشلالة الظهرانية التي اسس بها زاويته وقصره الذي سماه ب"الابيض" والمسمى اليوم باسمه "الابيض سيد الشيخ"[2].

ولقد اشتهرت زاويته وطريقته في ربوع الغرب الجزائري وشرقه والصحراء ووفد اليه المريدون من كل مكان وفتح تمثيليات وفروعا في مختلف المناطق وهو ما يزال في قوة شبابه، مما يد ل على قوة شخصيته وحسن ادبه وسياسته وكذا تكوينه العلمي وخلقه الرفيع وتمكنه في الطريق مما جعل القبائل تجتمع على طاعته والولاء اليه على الرغم من وجود مناوئين له وحسادا عملوا على اضعاف سطوته بكل الوسائل .

"وقد صرح ابن ابي محلي بما يزكي ذالكفقال : واشتهر صيته منذ كنت صبيا وانا اسمع به ، اما يوسف بن عابد الفاسي فقد وجده سنة 990هـ صاحب زاوية مستقرة يأتيها رزقها رغدا من كل مكان حوله مريدون اوفياء وطلبه العلم والفقراء يقيمون عنده في اطيب حال ويقرا بين يديه كتاب

1– محمد بن معروف الشنافي،تاج الياقوت وسر الناسوت ،المرجع السابق، ص01

2– عبد الله حمادي الادريسي،الامام احمد ابن ابي المحلي مهدي ،المرجع السابق ،ص306

البخاري بعد صلاة العصر الى اصفرار الشمس وما وصف من احواله من تلقين الذكر للمريدين والاخذ عنه"[1].

- **وفاته :**

توفي يوم الجمعة ثاني جمادي الاول عام 1025هـ / 17ماي 1616م عن عمر يناهز خمسا وثمانين سنة وتنفيذا لوصيته نقل جثمانه الى الابيض سيدي الشيخ حيث دفن يوم الاحد وصلى عليه صهره وتلميذه الشيخ محمد بن عبد الله الجراري ورؤي بعد وفاته على جسده عدة جروح كانت بقيت في جسده نتيجة جهاده السابق مع المسلمين للنصارى الاسبان الذين تغلبوا على السواحل الجزائر بوهران[2].

ومن كرامته ان اولاده كاوا غائبين عند موته فبعث اليهم واعلمهم انه سيلقى ربه قريبا واوصاهم بطاعة الله ومراعاة الحدود وان يتراعو بينهم ومن جمله ما اصاهم به ان يصلي عليه نسيبه الفقيه محمد بن عبد الله الجراري القراري وكان ساعتها غائبا في بلده القراره- وحصل ان حضر وفاته وصلى عليه كما وصى – ودفن في بلده الابيض ونعت لهم الموضع الذي قبره فيه اليوم[3].

1- محمدبنمعروفالشنافي،تاجالياقوتوسرالناسوت،المرجعالسابق، ص 02

2- المرجع نفسه ، ص 02

3- عبد الله حمادي الادريسي ،الامام احمد بن ابي محلي مهدي ، المرجع السابق،ص271.

"وله ضريح رمزي مليح بفجيج لا يزال في شموخ قبته ينهض دليلا على تلك الاعوام الخصيبة التي قضاها على ثراها الرطيب"[1].

2- مؤلفاته واثاره:

لقد خطى الشيخ السماحي على خطا اسلافه من اهل الطريق فلم يترك الكثير من المؤلفات الا ما دعت اليه الحاجة الى البسط مثل اداب الطريقة والدعوة اليها والرد على رسائل المحبين والسائلين والاوراد التي تلقفها اصحابه ومريدوه منه وتوارثها جيلا بعد جيل .

" لقد وزعالسماحي حياته بين مشاغل واهتمامات تتنوع بين اعطاء السر وكسب المريدين وتصدر حلقات الذكر والوعظ ومجالسة الاصحاب والضيوف والاصلاح بين المتخاصمين وحتى الخروج للصيد ورعاية امواله وتفقد زواياه الفرعية ولعل ذلك كان سببا في عدم اهتمامه بالتاليفحتى انه لم يخلف وراءه الا رسائل صوفية واخوانية ومقطعات شعرية واورادا مازال مريدوه وذريته يحفظونها ويقرءونها"[2].

ومن الاثار التي حفظها التاريخ والتي تدل على غزارة علمه و مكانته الاجتماعية الممتدة جغرافيا في بلاد المغرب العربي والمغرب الاقصى خصوصا للروابط العديدة التي كانت تربطه به وبملوكه السعديين وخاصة منهم السلطان المغربي "ابوالمعالي زيدان بن احمد المنصور الذهبي السعدي

1- محمد بن معروف الشنافي تاج الياقوت وسر الناسوت ،المرجع السابق، ص05

2- المرجع نفسه، ص 02

الذي بويع له بعد وفات والده عام 1012هـ\1603م بفاس وتوفي 1037هـ\1627م بمراكش وكان فقيها ومفسرا"[1].

والذي راسل الشيخ عبد القادر بوسماحةيستفسره في مسائل في التصوف فكانت مقدمة جواب الشيخ : " ...اما بعد فقد ورد علينا كتابكم الكريم المحفوف بالبر والتكريم ، ايدكم الله تعالى ونصركم، واعلى مقامكم وسرمد دولتكم وايامكم، فتصفحناه بالقبول والرضوان، واقام لنا مقام وجودكم ، وفهمنا منه ما تضمنه خطابكم .اما ما ذكرتم من قضية الجواب على تفصيل الاصل والفصل والكيفية والحال واوفاء والعهد بالمقال والفعال فهنا انا افسر لكم ذلك ان شاء الله كما ينبغي ... انتهى الجواب المذكور مختصرا مجملا بحمد الله وحسن عونه وصلى الله على سيدنا محمد نبيه وعبده ...وكتب بتاريخ اوائل ربيع الثاني عام ستة عشر والف هجري موافق نحو اواخر جويلية 1607م "[2].

والجواب يجمع كثيرا من ادلة الشرع في ما يخص اخذ الذكر ،ولبس الخرقة ، والسر ،والبيعة وشروطها وادلتها من الكتاب والسنة وكيفيتها مع التدليل على كل كيفية وكذا الكثيرا من امور الطريقة مع الرد على بعض الاقوال التي راها غير ملائمة في سير القوم ،مما يدل على تمكنه في علوم اهل التصوف ورده الامور الى الدليل والمصلحة قدر الامكان ،فهو يمثل الشيخ الوارث للطريقة الداعي الى الله على بصيرة .

1- عبد الله حمادي الادريسي، الامام احمد بن ابي محلي مهدي ، المرجع السابق ،ص330

2- المرجع نفسه ،ص334

ومن مؤلفات الشيخ التى لا زال مريدوه واحفاده متعلقون بها يرتلونها في كل مناسبة تبركا وتذكرا وموعظة وهي منتشرة في كثير من صحراء الجنوب الغربي من الجزائر قصيدة "الياقوتة".

"والياقوتةتائية موزونة على بحر الطويل تتكون من 178بيتا وصف فيها تجربته الصوفية على غرار شعراء سابقين كالشيخ عبد القادر الجيلالي وابن الفارض وسواهما جامعا بين التعبير عن تجربته الذوقية وبسط قواعد السلوك وتحديد شروط الصحبة وتتبع السند الصوفي"[1].

وتفاصيل ذالك يتضمنه مدخل وخمسة اقسام وخاتمة نستعرضها كالاتي :

1- المدخل ويشتمل على الافتتاح والاعتراف ففي الافتتاح حمدلة وتصلية وفي الاعتراف اقرار بما خصة الله من فضل ومزية لم يتمتع بها كثير من امثاله (1-6بيت)

2 – القسم الاول تجربة الناظم السلوكية (7-92)

3- القسم الثاني الرد على المنتقدين والمعارضين (93-99)

4- القسم الثالث تبيان اصول الطريق وادابها (100-117)

5- القسم الرابع تفاصيل سند الطريقة الصوفي (118-158)

6- القسم الخامس تقديم فرض النصح والارشاد (159-169)

1- محمد بن معروف الشنافي،تاج الياقوت وسر الناسوت ، المرجع السابق ،ص 03

7- الخاتمه وفيها يشير الى عنوان القصيدة والغرض من نظمها ليختتم بما بدا به من الصلاة على النبي الكريم وشكر الله على الائه وتوفيقة (170-178)[1].

و الملاحظ ان القصيدة محشوة بكثير من المصطلحات الصوفية المعبرة عن حسن اطلاع الشيخ بخصوصيات الطريق وما كتب فيه اهله عن تجربة ودراية ، مما جعله يضع المصطلح في مكانه ويحيطه بالهاله التي تناسبه ، فيجعل القارئ يستشعر قوة العبارة وصدقها على الرغم من اغراقه في الرمزية التي تصل الى درجة "الشطحات الصوفية " التي ينتقد عليها كالحديث عن الاستغاثة به وكونه لو شاء لقال للشيئ "كن " لكان لولا حجاب الحياء الذي يمنعه ، وان كان يعبر عن فناء ارادته في ارادة خالقه وانه كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "رب اشعث اغبر مدفوع بالابواب لو اقسم على الله لابره "[2].

لكن الرغم مما اخذ عنه تمثل القصيدة دعوة صادقة الى التغيير والالتحاق بباب اهل الله مبينا فيها المنهج الذي يسير عليه المريد من دخوله مع الجماعة والالتزام بالذكر والاوراد الى ما يتكشف له اثناء المجاهدة من احوال اثناء الترقي في المقامات الى بلوغ التمكين ثم ما يطالب به من حفظ السر والدعوة الى الله بعد الاذن والآداب المصاحبة لكل ذلك .

ان هذه الابيات تمثل بحق خارطة طريق للوصول الى باب الله ولول صدق نية صاحبها ما سخر الله لها من يحفظها ويدرسها وينشرها ويقتدي باثر السائرين على دربها.

1- محمدبنمعروفالشنافي،تاجالياقوتوسرالناسوت،المرجعالسابق،ص 03

2- المرجع نفسه ، ص 03

" ولليـاقوتة وجه ثان مستحسن لا مطعن فيه ولا ماخذ عليه الا فيما يتصل بنواقص تمس العروض بلاغة والادوات التي يكون بها الشعر شعرا ولكننا في الواقع امام نظم لا شعر يصلح ان يكون معجما صوفيا لكثرة ما يحمله من مصطلحات ووثيقة تاريخية تحتفظ بسنده الصوفي كاملا وتشير الى صراعه ...وفي مثل هذه الجوانب تتحلى قيمتها الحقيقة"[1].

سلسلة السند :

قال الشيخ :فمن شيخنا عن شيخه عن شيخه تسلسلت الاشياخ اهل العناية

فاول حلقة من هذه السلسلة المباركة :الشيخ محمد بن عبد الرحمن السهلي حيث كان صاحب الوقت وشيخ الشيوخ فهو سيدي عبد الرحمن السهلي الجيرينسبة الى واد "قير " صاحب زاوية بقرية السهلي بوادي قير بالجنوب الشرقي المغربي وتسمى بلاد هـ "السهول " كان مجذوب من اوله الى اخره وكان كثيرا ما يسافر الى بلاد توات وكان له مريدون كثر يلقنهم اورادا طريقة شيخه احمد بن يوسف الملياني الراشدي توفي في بلده وسط القرن 10هـ/ 16م[2] .

2- ترجمة ابي العباس احمد بن يوسف الراشدي نسبا ودارا الملياني وفاة قال في سلوة الانفس : هو الشيخ الولي الصالح القطب الزاهد العالم والمحصل السالك الناسك المقرئ بالسبع المحقق الحجة كان رحمه الله من اعيان مشايخ المغرب وعظماء العارفين احد اوتاد المغرب واركان هذا الشأن رحمه الله

1- محمدبنمعروفالشناقي،تاجالياقوتوسرالناسوت،المرجعالسابقص 04

2- عبد الله حمادي الادريسي ،احمد بن ابي محلي مهدي ،المرجع السابق ص244

جمع الله له بين العلم والعمل وانتهت اليه رياسة الشيوخ وتربية المريدين بالبلاد الراشدية والمغرب باسرها واجتمع عنده جماعة من كبار المشايخ من العلماء والصالحين واشتهر ذكره في الافاق شرقا وغربا ووضع الله له القبول العظيم والعطف الجسيم في قلوب الخلق وقصده الزوار من كل حدب وتتابعت كراماته وظهرت انواره وكان متواضعا ورعا زاهدا يحبب الخلق الى الله ويامرهم على الطاعة ويحضهم على الذكر ويرشدهم الى الصراط المستقيم توفي 927هجري وقبره في قلعة مليانة معروف[1].

3- ترجمة سيدي احمد بن محمد بن عيسى البرنسي الفاسي الشهير بزروق قال في البستان يخ الامام العالم بالله الرحاله الحاج المجاور المشهور شرقا وغربا دون التصانيف العديدة والمناقب الحميدة والفوائد العديدة وقد عرف بتاريخ ولادته بنفسه في كناشه الدي ذكر فيه احواله وشيوخه فقال رحم الله ولدت عند طلوع الشمس ثامن عشر من محرم 742هجري وقد لقب بزروق لان جده كان ازرق العين وهو فقيه مالكي له شرح على رسالة بن ابي زيد القيرواني وله شرح على مختصر خليل في المدهب وكما يقول صاحب البستان يميل في تاليفه الى الاختصار والتحرير وله تاليف في البدع ككتابه "الجنة للمعتصم بالسنة" وله كتاب اسمه عدة المريد الصديق يبين فيها البدع التي يفعلها فقراء الصوفيه توفي رحمه الله سنة 899 للهجرة بتكرين من قرى مصراته بليبيا كان منارا في المله وناصرا للسنة ومميتا للبدعة[2] .

---

[1]- ناصر بونيف ،كؤوس التداني ورياض التهاني ، دار النشر ابن خلدون تلمسان 2014م ،ص132

[2]- المرجع نفسه ، ص 133

4- ترجمة سيدي احمد بن عقبة الحضرمي عالم زاهد مشهور له بالعلم والعمل وله مؤلفات كثيرة وهو شيخ الشيخ احمد الرزوق كما ان الشيخ زروق شيخ المليانى من اقوال الحضرمي فعليكم بالكتاب والسنه توفي 854هجري .[1]

5- ترجمه شيخ القرافة المرجح هو شهاب الدين الو العباس احمد القرافي الصنهاجي المصري العلامة الحافظ شيخ الشيوخ المالكي صاحب التصانيف العديدة منها التنقيح في الاصول الدخيرة في فقه المالكية توفي 684 هجري.[2]

6- ترجمة احمد بن محمد بن عبد الكريم ابن عطاء الله الاسكندري هو العالم العامل الفقيه المالكي صاحب الحكم العطائيه المشهورة ولطائف المنن وغيرها من التاليف له قدم في التعبد والعمل والعلم اخد عن ابي العباس المرسي وانتفع به قال فيه ابن عطاء الله صحبته اثني عشره عاما فما سمعت منه شيئا مخالفا للشريعة من حكمه رحمه الله من ادن له في التعبير فهمت في المسامع الخلق عبارته وجليت لهم اشارته توفي 684 هجري .[3]

7-ترجمة ابي العباس المرسي هو الشيخ احمد بن عمر الانصاري المالكي علم من اعلام الهداية اشتهرت مناقبه وفاضت بركاته وشهد له بالاستقامة على الشريعة السمحة كان من اكابر العارفين

1-ناصربونيف،كؤوسالتدانيورياضالتهاني، المرجع السابق، ص 133

2- المرجع نفسه ، ص 133

3- المرجعنفسه،ص 134

وكان يقال انه لم يرث علم الشيخ ابي الحسن الشذلي رضي الله عنه غيره وهو اجل من اخذ عنه الطريق رضي الله عنه ولم يضع رضي الله عنه شيئا من الكتب وكذالك شيخه ابو الحسن الشاذلي لم يضع شيئا وكان يقول كتبي اصحابي مات رضي الله عنه سنة ست وثمانين وستمائة[1].

8- ترجمةابي الحسن الشاذلي: هو علي بن عبد الله بن عبد الجبار الشاذلي وشاذلة قريه من افريقية الضرير الزاهد نزيل الاسكندرية وشيخ الطائفة الشادلية وكان كبير المقدار عالي المنار له عبارات فيها رموز له محاورات وردود مع بن تيمية وصحب الشيخ نجم الدين الاصبهاني وابن مشيش وغيرهما وحج مرات ومات بصحراء عيذاب قاصدا الحج فدفن هناك في ذي القعدة سنة 656 للهجرة ،قيل عنه انه لم يدخل في طريق القوم حتي كان يعد للمناظرة في العلوم الظاهرة قال فيه الشيخ تقي الدين بن دقيق العيد " ما رايت اعرف بالله منه "[2].

9- ترجمة الشيخ عبد السلام بن مشيش : ولد عام 559هجري حفظ كتاب الله في سن مبكر وتلقى العلوم الشرعية عن الشيخ احمد اقطران الملقب بالامام العسقلاني وعن اخيه موسى الرضى وعاش 63عاما ومات مسموما قتله ابو الطواجين مدعي النبوة المدفوع من قبل الاسبان في الحروب الصليبية[3] .

---

[1] – عبد الوهاب الشعراني ، الطبقات الكبرى ،دار المعارف القاهرة ،ط02 ، ص 308

[2] – عبد الحليم محمود، قضية التصوف المدرسة الشاذلية ،دار المعارف القاهرة، ط02 ، ص41

[3] – الناصر بونيف ، كؤوس التداني ورياض التهاني ،المرجع السابق، ص137

كان ابن مشيش متمسكا بالكتاب والسنة عاملا بهما وهو القائل :"افضل الاعمال اربعة بعد اربعة: المحبة لله والرضا بقضاء الله والزهد في الدنيا والتوكل على الله هذه اربعة ، واما الاربعة الاخرى فالقيام بفرائض الله والاجتناب لمحارم الله والصبر عما لا يعني والورع من كل شيئ يلهي "[1].

ثم كان السند متصلا عن شيخه المدني ابو يزيد العطار الملقب بالزيات ،عن ابي احمد السني جعفر بن عبد الله بن احمد الخزاعي الذي اسس زاوية قرب بلنسيا في الاندلس توفي 624هجري ،عن ابي مدين شعيب الانصاري الاشبيلي الاندلسي دفين العباد بتلمسان 520هجري، عن بن ابي يعزى المتوفي 572هجري ،عن ابي حرزهم المتوفي 559هـ ،عن القاضي ابي بكر ابن العربي 543هـ ، عن الامام ابي حامد الغزالي 505هـ ،عن ابي المعالي الجويني 487هـ ،عن ابي طالب المكي 376هـ، عن ابي محمد الحريري 312هـ ، عن ابي القاسم الجنيد 225هـ ،عن السري السقطي 253هـ ، عن معروف الكرخي 200هـ ،عن داوود الطائي 165هـ ، عن محمد الحبيب العجمي 156هـ ،عن الحسن البصري 110هـ ،عن امير المومنين علي كرم الله وجهه 40هـ ،عن رسول الله صلى الله عليه وسلم[2].

[1] – عبد الحليم محمود ،قضية التصوف ،المدرسة الشاذلية ،المرجع السابق ،ص22

[2] – الناصر بونيف ، كؤوس التداني ورياض التهاني، المرجع السابق ص150م

وهده الشجرة نفسها التي اسند اليها صاحب المناقب المعزية سند جده سيدي احمد بن موسى دفين مدينة كرزاز بولاية بشار الجزائرية ، وقال في اخرها :" انتهت الشجرة بحمد الله ...وقد جمعتها من احدى عشر شجرة "[1].

وهذا الاسناد كان يأخذه المريد مع العهد والورد يحفظه ويعتني به ويعتقد بركته ويجل اصحابه. وسرد صاحب الياقوتة لسنده ماهو الا دليل على العناية الكاملة والاجلال لاهل سنده من مشايخ يفتخر بعلمهم وجهادهم وحكمتهم وهو يعطي قوة ايمانية وطمانينة لدي المريد انه على الطريق الحق فيقبل عليه بكل وسعه رجاء ان يلحق درجات مشايخه في الزهد والعلم والبركات.وقد نقل الشنافي عن شيوخه انه " من لم يكتب سلسلة اشياخه ويحفظها في صدره ويستعيدها في ما يرد عليه من احوال فليس بصادق في الطريق "[2].

[1] – عبد الله حمادي الادريسي، الامام ابي محلي مهدي، المرجع السابق ،ص241

[2] – محمد بن معروف الشنافي تاج الياقوت و سر الناسوت، المرجع السابق، ص27

الفصل الثاني
مراحل التربية الصوفية من خلال القصيدة

المبحث الأول : مرحلة الإعداد الروحي وآدابها

المبحث الثاني : مرحلة المشاهدات والتلقي و آدابها

المبحث الثالث : مرحلة الكمال الروحي والدعوة وآدابه

لقد سارت التربية الصوفية على التدرج في سلم الترقي الى باب الوصول ، متخذة مراحل تسمى المقامات ،و كل صاحب مقام تعتريه انفعالات تسمى أحوالا يرتقي فيها من التكوين الى التمكين ،والمشاهدات التي تربطه بالله وتكون امتحانا له في الطريق إذا تجاوزه واثبت تعلقه بالله وحده نال رضى الله وانفتحت له الأسرار واختيرا وليا لله داعية اليه مؤيدا من عنده .

المبحث الأول : مرحلة الإعداد الروحي وآدابها

بداية الطريق تكون بطلب الشيخ القدوة و الجماعة والانتظام في سلك الطريقة ،ولا يكون ذلك الا بعد عرض المريد نفسه على الشيخ الذي يقرر من خلال تجربته وبصيرته هل يصلح هذا المريد لتحمل تكاليف الطريقة والقيام بشروطها وحفظ سرها واداء واجباتها والى اين يمكنه الوصول في مراحلها من خلال اختبار ارادته وعزمه ،" إذن المانع من الوصول عدم السلوك، والمانع من السلوك عدم الإرادة ،والمانع من الإرادة عدم الإيمان، وسبب عدم الإيمان عدم الهداة والمذكرين ، والعلماء بالله تعالى الهادين إلى طريقه والمنبهين على حقارة الدنيا وانقراضها وعظم أمر الآخرة ودوامها "[1]

قال الشيخ : ولما رأيت القوم جدوا في سيرهم الى المقعد الأسنى بصدق العزيمة

جرت للتأسي نفسي ثم تعلقت بأذيال ارباب النفوس الابية

وحامت على حماهم ثم خيمت بقربهم فزاحمتهم لشركة

[1]: أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي ، احياء علوم الدين ، دار المعرفة – بيروت ، ج3،(ب،ط)،ص85

فالإرادة الصادقة هي المفتاح الأول للوصول ، وهي التي تحدد السير في الطريق وعلى حسبها يكون العطاء من الله وبلوغ المراتب وهي تختلف بحسب المريدين.

" فاهل الارادة على ضربين : فمنهم من سار في طريقه الى ثواب الله تعالى ليعبده فيؤدي فرائضه ويجتنب محارمه ثم يتطوع من انواع البر ما تهيأ له يرجو بذلك النجاة من النار والوصول الى ثوابه الذي اعد لعماله من الله تعالى .

ومنهم من سار الى الله تعالى ليعبده فيؤدي فرائضه ويجتنب محارمه ثم يرجع الى باطنه طالبا الصدق في الباطن حتى يفتح له الباب ، فاذا فتح له الباب واعطي العطاء فذالك نفقة الطريق ليقوى فيسير، فكلما سار زيد من العطاء حتى يتقدم فلا يزال هكذا حتى يصل الى الله تعالى واقفا بقلبه بين يديه حيث ما رتب له ، ومنها يصير الى الاعمال بقلب قوي غني بالله ونفس صحيحة قد زايلها الخبث والخبائث وفارقها الهوى وطلب العلو و الادناس "[1]

ولتقويم الارادة وبلوغ الهدف كان لابد من توجيه وتعليم وقدوة متبعة تسهل الوصول وتبين السبيل ولا يكون ذالك الا بصحبة العارفين بالطريق وهم الشيوخ الموجهون .

قال الشيخ : واي سلوك كامل دون صحبة واي اهتداء شامل دون منحة

واي طريق راشد غير رشدنا واي اهتمام الوقت من غير همة

[1]: الحكيم الترميذي ، اداب المريدين و بيان الكسب، تح :الدكتور عبد الفتاح عبد الله بركة ، مكتبة الحكيم الترميذي ،مطبعة السعادة 1977 ، (ب،ط)،ص35

ويكون التلميذ بين يدي معلمه مستسلما لأمره متبعا لتوجيهه عازما على بلوغ المراد لا تثنيه العوائق عن مواصلة الطريق واتباع الشيخ وان كان الامر شاقا على النفس قال محمد بن احمد البغدادي : "من صحب الصوفية فليصحبهم بلا نفس ولا قلب ولا ملك فمن نظر الى شيئ من اسبابه قطعه ذلك عن بلوغ قصده ..."[1]

قال الشيخ : فلما تفاوضنا المشورت بيننا برمنا عقودا بالعهود الواثقة

تبايعنا بيع البت ليس كبيع من يرى البخس ثم يثني بالاقالة

فصرنا وصاروا حلف صدق ووادنا وداد النهى ذوي الصدور السليمة

هذا اول الروابط بين الشيخ والمريد وهو العهد على السمع الطاعة والاتباع في ما يرضي الله مع سلامة القلب والحب والوداد الذي لا انتكاس فيه ولا رجوع واخذ الذكر الذي يمثل الورد اليومي والانتظام في اوقات التربية والحلقات التي يتلقى فيها المريدون علوم الطريق وادابها

قال الشيخ :

بدايتها للغافلين بتوبة واشراطها محصورة بالتثبت

ونصح لدين الله ثم رسوله وخاصة والمومنين بجملة

وتطييب لقمة وتعظيم حرمة وشكر لنعمة ورفع لهمة

تبدأ اول المراحل بالتخلية وهي اصلاح النفس وردها الى الله بالتوبة من الذنوب وخدمة دين الله واتباع سنة رسوله صلى الله عليه وسلم ومحبة المسلمين والنصح لهم وهي عملية استفراغ لقوى

[1]: ابوعبد الرحمن السلمي ، المقدمة في التصوف،تح : د.يوسف زيدان، دار الجيل، بيروت 1999م،ط 01، ص21

الشر من تمرد على المبادئ وانانية وجشع وخبائث تمنع من الوصول الى الصفاء والترقي وتسمى هذه المراحل بالمقامات ولها تجليات وانفعالات مصاحبة تسمى احوالا .

"والمقام هو ما يتحقق به العبد من الآداب؛ فمقام كل أحد ما هو مشتغل بالرياضة له.ومن شرطه أن لا يرتقي من مقام إلى مقام آخر، ما لم يستوف أحكام ذلك المقام، فإن من لا قناعة له لا يصح له التوكل ومن لا توكل له لا يصح له التسليم، وكذلك من لا توبة له لا تصح له الإنابة، ومن لا ورع له لا يصح له الزهد. ويرد على القلب انفعالات نفسية تسمى احوالا اثناء هذه المجاهد من غير تعمد منهم، ولا اجتلاب، ولا اكتساب لهم، من: طرب، أو حزن،

أو بسط، أو قبض، أو شوق، أو انزعاج أو هبة، أو احتياج.

فالأحوال: مواهب، والمقامات. مكاسب. والأحوال تأتي من عين الجود، والمقامات تحصل ببذل المجهود".[1]

ولكن الناس مختلفون في درجات الكمال النفسي، فيعالج النقص او الخلل فيهم ، فمن الناس من هو متمكن في مقام الصبر ابتداءا فهو لا يشق عليه تحمل الاذى بينما ينقصه الكمال النسبي في مقام اخر، فتعمل التربية على تكميل الناقص وتقوية الموجود، فلذلك يختلف العمل مع المريدين بحسب احوالهم، وكذا تختلف مدة ارتقاء كل واحد منهم حسب قدراته النفسية ، يقرر ذلك كله الشيخ المربي وهذه مقامات التي يتفق على معظمها اهل الطريق تسعة :

" أوّلها التوبة، والصبر، والشكر، والرجاء، والخوف، والزهد، والتوكل، والرضا، والمحبة وهذه محبة الخصوص وهي محبة المحبوب".[1]

[1]: ابو القاسم القشري النيسابوري الشافعي، الرسالة القشيرية، المرجع السابق، ص132

والملاحظ ان كل هذه المقامات احوال قلبية تصعب مراقبتها وادراك درجتها الا بما قد يتعرض له المريد من امتحان في خلال مسار حياته ، وهذا امر قد يطول كما انه يصعب الاطلاع على مدى الاخلاص فيها لله تعالى ، لكن الشيخ النافذ البصيرة وصاحب التجربة يمكنه ان يميز تلاميذه و درجاتهم ، كما ان ما يصحب المقامات من احوال وتجليات يطلع المريد عليها شيخه تكون دليلا على نفسية المريد وتمكنه واخلاصه ، ولكل مقام تعريف خاص تراعى فيه معالجة احوال النفس الباطنية اكثر من ظواهرها.

فالتوبة هي "اول مقام من مقامات المريدين الى الله تعالى وهي " الرجوع من كل شيء ذمه الشرع الى ما مدحه الشرع " [2] قيل في حدها ايضا إنها " خلع لباس الجفاء ونشر بساط الوفاء". وقال سهل ابن عبد الله التستري: "التوبة تبديل الحركات المذمومة بالحركات المحمودة، ولا يتم ذلك إلا بالخلوة والصمت وأكل الحلال".[3]

و الصبر وهو:" عبارة عن ثبات باعث الدين في مقاومة باعث الهوى".[4]

[1]: ابو القاسم القشري النيسابوري الشافعي، الرسالة القشيرية، المرجع السابق، ص 179

[2]: ابو نصر السراج الطوسي ،اللمع ،تح:عبد الحليم محمود وطه عبد الباقي سرور، دار الكتب الحديثة ، مصر ، 1960 مطبعة السعادة ،القاهرة ،ج4 ، (ب،ط)،ص 76

[3]: ا– أبو حامد الغزالي ، احياء علوم الدين، المرجع السابق، ص64

[4]: المرجع نفسه ،ج4، ص 63

قال الجنيد : "الصبر حمل المؤن لله تعالى حتى تنقضي اوقات المكروه".[1]

"والشكر من جملة مقامات السالكين ، ويتكون من معرفة وحال وعمل ، فهو معرفة النعمة من المنعم، وحال وهو الفرح الحاصل بإنعامه، وعمل وهو القيام بما هو مقصود المنعم ومحبوبه. ويتعلق ذلك بالعمل بالقلب وبالجوارح وباللسان.

والرجاء إسم يصدق على انتظار محبوب تمهدت جميع أسبابه الداخلة تحت اختيار العبد ولم يبق إلا ما ليس يدخل تحت اختياره وهو فضل الله تعالى بصرف القواطع والمفسدات.

والخوف هو ألاَّ تعلل نفسك بعسى وسوف.و الخوف، سراج القلب، به يبصر ما فيه من الخير والشر".[2]

اما الزهد فهو: "مقام شريف وهو اساس الاحوال الرضية والمراتب السنية وهو اول قدم القاصدين الى الله عز وجل والمنقطعين الى الله فمن لم يحكم اساسه في الزهد لم يصح له شيئ مما بعده لان حب الدنيا راس كل خطيئة والزهد في الدنيا راس كل خير وطاعة..."[3]

و علامة الزهد "استواء الفقر والغنى والعز والذل والمدح والذم، وذلك لغلبة الأنس بالله. ويتفرع عن هذه العلامات علامات أخرى لا محالة: مثل أن يترك الدنيا ولا يبالي من أخذها".[4]

[1]: ابونصر سراج الطوسي ،اللمع ،المرجع السابق، ص76

[2]: ابو القاسم القشري ، الرسالة القشرية ،المرجع السابق ،ص58

[3]: ابو نصر سراج الطوسي ،اللمع، المرجع السابق، ص 72

[4]: ابو حامد الغزالي ،احياء علوم الدين ،المرجع السابق، ج 4 ،ص 242

والتوكل هو "خلع الارباب وترك الاسباب وقال الدقاق : التوكل رد العيش الى يوم واحد واسقاط هم الغد وقيل التوكل الثقة بالوعد والصبر على الدنيا وقطع القلب عنها".[1]

اما الرضا فهو "باب الله الاعظم وجنة الدنيا وهو ان يكون قلب العبد ساكنا تحت حكم الله عزوجل، وقال الجنيد : الرضا رفع الاختيار ، وقال ذو النون المصري : سرور القلب بمر القضاء".[2]

ولا تنال هذه المقامات الا بجهد وتحمل لمشقة العبادات والمداومة عليها، مع كامل الاخلاص والتذلل والمحبة والزهد في الدنيا واهلها الا للضرورة ، وهي متكاملة لاتنفك عن بعضها ، فالتوبة تستوجب الزهد في الدنيا مع الخوف من الله والرجاء فيه والرضا بقضائه والصبر على بلوائه وهو في كل ذالك متوكل على الله شاكر له على تيسيره وحفظه

وتوفيقه ،فالصوفي يستحضر ذالك كله في وقت واحد وانما المقام ان يستدرك بعض النقص في هذه الجوانب النفسية ويعمل على بلوغ الكمال فيها ،والوسيلة في ذالك بعد فضل الله المجاهدة

" لأن أول مقامات الدين اليقين الذي هو عبارة عن قوة الإيمان بالله تعالى وباليوم الآخر والجنة والنار، وهذا اليقين بالضرورة يهيج الخوف من النار والرجاء للجنة والرجاء والخوف يقويان على الصبر... يؤدي مقام الصبر المستفاد من الخوف والرجاء إلى مقام المجاهدة والتجرد لذكر الله

[1]: ابو القاسم القشري النيسابوري الشافعي، الرسالة القشرية ، المرجع السابق ، ص297

[2]: ابو نصر سراج الطوسي ،اللمع ، المرجع السابق، ص80

تعالى والفكر على الدوام، ويؤدي دوام الذكر إلى الأنس ودوام الفكر إلى كمال المعرفة، ويؤدي كمال المعرفة والأنس إلى المحبة " .[1]

قال الشيخ : وجد قوي واجتهاد موافق صوم وسهر ثم صمت وعزلة

وحزن ودمع ساكب مع لوعة وشغف قلوب الواهين بزفرة

وهدف هذه المجاهدات الوصول بالمريد الى درجة من العلم والتجربة الروحية التي تفتح له ابواب المعرفة مع ما يتلقاه من علوم شرعية وسلوكية والغاية هي معرفة الله لأنها اول فرض افترضه الله على عباده قال تعالى " وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون " – الاية 56 من سورة الذاريات– ، وقال ابن عباس :" اي ليعرفون"،[2] ثم ان هذه المعرفة هي عند العارفين لا تأتي من العلوم النظرية وحدها بل هي نفسها عطاء من الله ورحمة .

قال الشيخ : وذلك بفضل الهنا ينال لابكد وحيلة

وقال ايضا: وبعد ففضل الله يوتيه من يشا بمحض تفضل ومنّ ورحمه

ومهما اجتبى عبدا سعيدا لقربه تخيره وذالك ليس لعلة

ومنع من يشاء جل بعدله ويحرم فيض الفضل من غير قلة

واصل المعرفة هو الله سبحانه وتوفيقه لعبده ، وهذه المعرفة لا تعني معرفة حقيقة الذات العلية لأنها فوق الإدراك "فالمعرفة معرفتان معرفة حق ومعرفة حقيقة أما معرفة الحق فهي إثبات

[1]: ابو حامد الغزالي، احياء علوم الدين ،المصدر السابق، ج4 ، ص167

[2]: ابو عبد الرحمن السلمي ، المقدمة في التصوف ، المرجع السابق ، ص30

الوحدانية على ما ابرز من الصفات وأما معرفة الحقيقة فلا سبيل إليها لامتناع الصمدانية وتحقيق الربوبية".[1]

فالانسان يعرف الله تعالى في حدود ما علمه الله في كتبه وعلى لسان رسله ومن خلال ما اوجد في ملكه معرفة حق، اما غير ذلك فهو غيب لايعلمه الا الله ،فوق ادراك البشر ، فمهما بلغ في درجات الكمال فلن يصل الى حقيقة الذات العلية .

فاذا وصل المريد الى درجة من العلم والتربية الايمانية يعرف بها ربه كان من لوازم ذالك بالتأكيد محبة الله والفناء في عبادته وهو مراد كل طريق سليم يسير على خطا المرسلين قال الشبلي "علامة المعرفة المحبة لان من عرفه احبه" .[2]

قال الشيخ : وبعد تعاطينا الموائد نبتغي فنون العلوم يالها من عطية

فلما اديرت الاباريق بيننا من الشوق تتلوها كؤوس المحبة

والوسيلة الى بلوغ المقامات من حب ومعرفة وشوق وما بعدها هي كثرت الذكر و المداومة على الاوراد ، مستشهدين بقول الله تعالى: "والذاكرين الله كثيرا والذاكرات"- اية 35الاحزاب -، وقوله تعالى" يايها الذين ءامنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا وسبحوه بكرة واصيلا" -اية41الاحزاب -، وقوله صلى الله عليه وسلم "سبق المفردون ، قالوا وما المفردون يا رسول الله ؟ قال "الذاكرون الله كثيرا والذكرات " رواه مسلم .

[2]: المرجع نفسه ، ص 30

[2]: ابو عبد الرحمن السلمي ، المقدمة في التصوف ،المرجع السابق ، ص 31

" فصلاح القلب في الاحزان والهموم ودواؤه بمداومه ذكرالله تعالى، وفساده من افراح الدنيا وسرور احوال النفس ،ودواؤه اعراضه عن ذكر الله تعالى واقباله على ما يلهيه عن ذكر الله تعالى".[1]

قال الشيخ: واي طبيب للقلوب من العمى اطب من الذكر القوي الاشارة

و اي معد للذنوب و محوها اشد من اسم ذوي الصفات الجليلة

وما حج والجهاد من غير فرضنا بافضل من ذكر الاسماء العظيمة

بل الذكر اقوى ثم اولى لاسيما اذا استشعر القلب النعوت الحميدة

بذا صدع المختار اعني نبينا وصح بالنقل في الاثار الصحيحة

ويستمر المريد في تصفية نفسه وجبر نقصها حتى يخلصها من تعلقها بالشهوات والفرح بها وحتى لا يكون فرحها الا بذكر الله وطاعته بل ان ركونها الى عمل من اعمال الخير والفرح به لما فيه من محمدة الناس والسمعة والثناء يعتبر مرضا يجب التخلص منه فلا يكون العمل الا لله يستوي في ذالك حمد الناس وذمهم .

"فمن احب ان يصل الى الله تعالى نظر الى كل شيئ تفرح به النفس من امر دين او دنيا فمنعها ذلك الفرح وكل عمل من اعمال البر تجد لذته وللهوى فيه نصيب فحقيق عليه ان ينتقل الى عمل غيره لكي يحرمها لذتها ".[2]

[1]: الحكيم الترميذي ، اداب المريدين و بيان الكسب ،المرجع السابق، ص40

[2]: الحكيم الترميذي ، اداب المريدين و بيان الكسب، المرجع السابق، ص40.

وهذه المحاسبة القوية المتيقظة لأحوال النفس ترجع على المريد بمزيد الفتح والتعلق بالله ما ينسيه لذة الدنيا والالتفات اليها، وهو مع ذلك متيقظ دائما من خطر التردي بعد البلوغ ، وتكون نتيجة ذلك الفتح والتثبيت من الله .

" فاذا اشرق ذلك النور في الصدر وجدت النفس من تلك العطايا ما لهت به عن لذات الدنيا وشهواتها ،ثم دعته الحاجة بعد ذلك الى حراسة النفس ان لا تاخذ من هذه العطايا بلذتها ما توقعه في ورطة فتهلكه والخطر العظيم ههنا ومن هنا سقط عامة السائرين الى الله تعالى بقلوبهم في اودية خدائع النفس ..."[1]

وهذه المرحلة قد تستغرق سنوات من الجهد والعزلة والتزكية ومتابعة المشايخ و الأخذ منهم بل هي عمل العمر كله لان المراحل لا تنتهي قال تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم " وقل رب زدني علما". الاية114 سورة طه .

يقول الغزالي عن تجربته الصوفية " ودمت على ذلك مقدار عشر سنين، وانكشفت لي في أثناء هذه الخلوات أمور لا يمكن إحصاؤها واستقصاؤها.

وبالجملة، فماذا يقول القائلون في طريقة، طهارتها – وهي أول شروطها – تطهير القلب بالكلية عما سوى الله تعالى، ومفتاحها الجاري منها مجرى التحريم من الصلاة، استغراق القلب بالكلية بذكر الله، وآخرها الفناء بالكلية في الله؟!. وهي على التحقيق أول الطريقة، وما قبل ذلك كالدهليز للسالك إليه..."[2]

[1]: الحكيم الترميذي ، اداب المريدين و بيان الكسب، المرجع السابق ،ص 41.

[2]: أبو حامد الغزالي الطوسي، المنقذ من الضلال، تح: عبد الحليم محمود، دار الكتب الحديثة، مصر، (ب.ط) ،ص 177

المبحث الثاني: مرحلة المشاهدات والتلقي وادابها

من بعد لمجاهدات تبدا المشاهدات وتبدا مرحلة اخرى في طريق المتصوف يكون فيها الاتصال بعالم الملكوت والاستغراق فيه والتلذذ به والارتقاء وتلقي العلوم من الحضرة القدسية.

قال الشيخ : يتها شم وذوق وشربها به ري خمر ثم سكر بغيبة

فأمطارها فكر وذكر وعبرة ومحو ذواتها للذات العظيمة

من بعد غيم جاء صحو سمائها بإشراق شمس بالمعارف حفت

"يعني ان نهاية هذه الاخلاق مقام الذوق والشرب والسحق والمحق والمحو او الشم والري والسكر في ات القوم للسالك المتخلق ونهاية شرابها ري الخمرة الالهية وادارة كؤوس المعارف الربانية."[1]

وهذه المقامات تعبر عن حالة نشوة وشهود وتلقي من الحضرة الالهية عبروا عنها بلغة رمزية ومصطلحات خاصة بهم لا يفهم حقيقتها الا من عاشها منهم .

قال الغزالي : " أول الطريقة تبتدئ المكاشفات والمشاهدات، حتى أنهم في يقظتهم يشاهدون الملائكة، وأرواح الأنبياء ويسمعون أصواتاً ويقتبسون منهم فوائد. ثم يترقى الحال من مشاهدة الصور والأمثال، إلى درجات يضيق عنها النطق، فلا يحاول معبر أن يعبر عنها إلا اشتمل لفظه على خطأ صريح لا يمكنه الاحتراز عنه".[2]

[1]: محمد بن معروف بن ابي شنافة ، تاج الياقوت وسر الناسوت ،المرجع السابق ،ص23

[2]: ابو حامد الغزالي ، المنقذ من الضلال ،المرجع السابق، ص178

لذالك تجد التعبير على هذه المرائي والاحوال لا يكون الا بطريق الرمز لما يخاف على السامع من الالتباس وظن السوء بهم .

" الطائفة يستعملون ألفاظاً فيما بينهم، قصدوا بها الكشف عن معانيهم لأنفسهم، والإجمال والستر على من باينهم في طريقتهم، لتكون معاني ألفاظهم مستبهمة على الأجانب، غيرة منهم على أسرارهم أن تشيع في غير أهلها، إذ ليست حقائقهم مجموعة بنوع تكلف، واستخلص لحقائقها اسرار قوم".[1]

لذلك يعبر سيدي الشيخ عن حاله بعد ما تلقى المعارف وسار في طريق التزكية النفسية عن المرحلة التالية وهي مرحلة الاستغراق في الذكر وما يتبعها من مشاهدات بطريقة الرمز الصوفي المتعارف عليه عند اهل هذا الطريق فيقول:

فلما اديرت الابارق بيننا من الشوق تتلوها كؤوس المحبة

ونحن نشاء نلتقي شرب خمرها بكلتا اليدين في الاواني المعدة

وحين انتهى بنا الشراب على الذي قضاه لنا الرحمن وفق المشيئة

سكرنا وهمنا بالشراب ...

"اي لما انتهى به الشراب والمعارف الربانية في أوانيها المعدة لها وهي اقوال المشايخ وهمهم الذي قضاها لنا الرحمن سكرنا اي تفلتت ارواحنا من حس الجسد وحصل لها هيمان في عالمها بسبب الشراب الذي تلقته بكلتا يديها من عند المشايخ".[2]

[1]: ابو القاسم القشري النيسابوري الشافعي، الرسالة قشرية ،المرجع السابق، ص156

[2]: محمد بن معروف بن ابي شنافة ، تاج الياقوت وسر الناسوت ، المرجع السابق ،ص04

قال الشيخ القطب عبد السلام من مشيش: " عليك بمحبة الله على التوقير والنزاهة وادمن الشرب بكاسها مع السكر والصحو كلما افقت او تيقظت شربت حتى يكون سكرك وصحوك به وحتى تغيب بجماله عن المحبة وعن الشراب والشرب والكاس بما يبدو لك من نور جماله وقدس كمال جلاله ".[1]

يعبرون عما يتلقونه من علوم وفتوحات ومشاهدات بالذوق للمبتدء ثم الشرب للمستغرق والري للفاني في الاوصاف القدسية وقد لا يتعدى الامر بالنسبة للمريد ما يرمز اليه ب"الشمّ" وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اني لست كهيئتكم اني ابيت عند ربي يطعمني ويسقين . –رواه البخاري– ، وهو بالتأكيد ليس طعاما ماديا بل هو اشياء معنوية وعلوم لدنية ومشاهدات أخروية وقد ورد في الاثر ان الصحابة كانوا : يدخلون روادا ولا يفترقون من عند رسول الله الا عن ذواق .– رو ابن ابي شيبة –، ولم يكن لهم حاجة الى طعام وشراب بل كان ذواقهم زاد أرواحهم بدليل قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : ذاق طعم الايمان من رضي بالله ربا وبالإسلام دينا وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبيا ورسولا .

– رواه مسلم– .

فالتعبير بالذوق والطعام والشراب عن الوجد له اصل قديم على هذا التخريج.

[1]: عبد الحليم محمود ، قضية التصوف المدرسة الشاذلية ، دار المعارف ،ط 02 ، ص22

"ويعبرون بذلك عما يجدونه من ثمرات التجلي، ونتائج الكشوفات. وبواده الواردات. وأول ذلك: الذوق، ثم الشرب، ثم الريُّ. فصفاء مع ملاتهم يوجب لهم ذوق المعاني؟ ووفاء منازلاتهم يوجب لهم الشرب. ودوام مواصلاتهم يقتضي لهم الريَّ. فصاحب الذوق متساكر، وصاحب الشرب سكران، وصاحب الريِّ صاح. وأعلم أن كاسات القرب تبدو من الغيب، ولا تدار إلا على أسرار معتقة، وأرواح عن رقق الأشياء محررة".[1]

وعند هذه المرحلة تختلف قدرات الناس بحسب ملكاتهم العقلية و القدرة على التلقي والصمود في مواجهة الواردات بحسب التمكن في المقامات .

وكذالك تختلف طريقة التلقي فيما يعبر عنه بالكاس فتارة يشهد الشارب تلك الكاس

صورة شبه حقيقية ، وتارة يشهدها شيئا معنويا ، وتارة يشهدها على شكل علوم يتلقاها . وكيفية الشرب مختلفة ايضا، كما ان ما يتلقونه من علوم في صورة شراب تكون مختلفة ، "فيسقي كل على قدره فمنهم من يسقى بغير واسطة والله سبحانه يتولى ذلك منه له ،ومنهم من يسقى من جهة الوسائط كالملائكة والعلماء والاكابر من المقربين، وقد يجتمع جماعة من المحبين فيسقون من كاس واحدة وقد يسقون من كؤوس كثيرة وقد يسقى الواحد بكاس وكؤوس ، وقد تختلف الاشربة بحسب عدد الكؤوس وقد يختلف الشرب من كاس واحدة و ان شرب منه الجم الغفير من الاحبة".[2]

[1]: ابو عبد الرحمن القشيري، الرسالة القشرية ،المرجع السابق ، ص 156

[2]:عبد الحليم محمود ، قضية التصوف المدرسة الشاذلية ،المرجع السابق ، ص24

إذا ما جئنا الى تفصيل هذه الاحوال وتعريفها فسنجد انها متقاربة المعاني لا يميز معناها على الحقيقة الا من بلغها من الراسخين فتبقى هذه التعاريف محاولة منهم لتقريب ما وجدوه باستعمال الالفاظ التي تكون احيانا قاصرة عن نقل هذا الشعور الفياض كما ان الملكة اللغوية ليست متاحة لكل سالك في هذا الطريق فتبقى اسرار كثيرة طي الكتمان وهو ما يفسر انحصار المصطلحات والتعبيرات في ما رسمه الاولون دون تجديد او اضافة وتنويع على الرغم من تعدد الطرق الموصلة الى المقصود وتعدد طرائق الترقي والقبول فما يعبر عنه بالشرب لا يكون واحدا كما لا يكون السكر واحدا ولا الصحو بعده بنفس الدرجة والفتوح فكذالك لا تكون الكلمة الواحدة معبرة عن كل هذا الاختلاف .

فأول هذه التجليات " الذوق : وهو اما خيالي، يكون اثره في نفس المريد بزيادة المجاهدة والعبادات ، واما ان يكون الذوق عقليا ويكون اثره في القلب بزيادة اليقين والعلم ، وياتي بعده الشرب: وهو فوق الذوق وهو ما يستفيده من النفس الثاني بعد الذوق ، فان زاد الشرب اسكر ولا يكون الا لأصحاب المواجيد فاذا كوشف العبد بنعت الجمال حصل له السكر.

والسكر انوع : منها الطبيعي وهو يحدث من كثرة التشوف الى عطاءات الله حتى تصير خيالا ماثلا امامه او اشبه بالحس الحقيقي عند بعضهم ،وذلك مثل قوله صلى الله عليه وسلم "اعبد الله كأنك تراه " –رواه البخاري –

وقول الصحابي وقد سئل عن حقيقة ايمانه قال اظمأت نهاري واسهرت ليلي فكاني انظر الى عرش ربي بارزا ..."–رواه البيهقي في شعب الايمان–

وسكر عقلي خمرته الدليل والبرهان وتقويه الاخبار الالهية فالسكر الطبيعي سكر المؤمنون والسكر العقلي سكر العارفين وبقي سكر الكمل من الرجال وهو ابتهاج وسرور بالكمال".[1]

ثم يعود المريد الى الحال العادية بمزيد علم ويقين ومدد روحي فبعد ان كان " في حال سكره بشاهد الحال. فهو في صحوه بشاهد العلم إلا أنه في حال سكره محفوظ لا بتكلفه وفي حال صحوه متحفظ بتصرفه."[2]

و يكون الصحو على حسب مراتب السكر " ثم أعلم أن صحو كل سكران بحسب سكره ...ومن شرطه ان ياتي بعلم محقق استفاده من غيبة سكره ، ومن ادبه انه اذا صحا كتم ما ينبغي ان يكتم و اذاع ما ينبغي ان يذاع ".[3]

وقد عبروا عما يتلقونه من علوم على حسب درجاتهم واستعدادهم بشراب اهل الجنة ،الماء واللبن والعسل والخمر، وجعلوها رموزا لعلوم غيبية مختلفة بحسب الصورة التي يتجلى فيها ذلك العلم فإن هذه المشروبات تعبر عن علوم مختلفة.

وستدلوا على ذالك " برؤيا النبي صلى الله عليه وسلم فإنه قال أريت كأني أوتيت بقدح لبن فشربت منه حتى رأيت الري يخرج من أظافري ثم أعطيت فضلى عمر قالوا فما أولته يا رسول الله قال: "العلم ".رواه مسلم .

[1]: محي الدين ابن عربي الفتوحات المكية الباب ، تح :عثمان يحي و ابراهيم مدكور، المجلس الاعلى للثقافة الهيئة المصرية العامة للكتاب ،المكتبة العربية،1985م، ط02 ،ص201

[2]: ابو عبد الرحمن القشري، الرسالة القشيرية ، المرجع السابق، ص80

[3]: محي الدين ابن العربي ،الفتوحات المكية ،المرجع السابق، ص 102

" فهذه المشروبات وضعها الله ضرب أمثلة لأصناف علوم تتجلى للعارفين في صور هذه المحسوسات وخص الخمر بالتعبير عن التجليات الغيبية التي لا تكاد تدركها الافهام ولا يعبر عنها لسان والتي تصاحبها غيبة عن الواقع مع لذة وشوق وحب كبيرين مما جعل احسن معبر عنها لفظ السكر و علوم غيبية ومشاهدات تذهب العقل كما يذهب الخمر عقول شاربيه ويخرجهم عن المالوف ...وما في المشروبات من له سلطان وتحكم على العقل سوى الخمر فهو للعلم الإلهي الذوقي الذي تمجه العقول من جهة أفكارها ولا يقبله إلا الايمان".[1]

مع ان هذه الحال من السكر ليست لكل الناس فان الخاصة من اهل العلم اعطوا من القوة بحيث لايذهب عقولهم الشرب وهؤلاء هم من يوصفون بالاكابر ."..والاكابر ملكهم الله احوالهم وجعلهم حاكمين عليها ".[2]

اما الري بعد الشرب فهو امر مختلف فيه فمن نظر الى حال المريد وقدرته رأى ان له درجة ينتهي عندها، وسماها "الري" ومن نظر الى علم الله الا متناهي رأى ان الري لا يكون وقد قال الله لنبيه صلى الله عليه وسلم في القران الكريم " وقل رب زدني علما " ولم يحدد له في ذالك مبلغا من علوم الدنيا ولا من علوم الاخرة .

و من الاحوال مالا يسمونه سكرا و لا تسببه تجليات بل هو غلبة بوارد خوف او شوق لان النفس تكون في بعض احوالها مرهفة الحس بسبب كثرة المجاهدة والتفكر وتسمى هذه الحال بالغيبة و التي يتبعها الحضور.

[1]: المرجع نفسه ، ص 240

[2]: عبد الحليم محمود ، قضية التصوف المدرسة الشاذلية ،المرجع السابق ،ص26

" فالغيبة: غيبة القلب عن علم ما يجري من أحوال الخلق، لاشتغال الحس بما ورد عليه، ثم قد يغيب عن إحساسه بنفسه وغيره، بوارد من تذكر ثواب، أو تفكر عقاب.

كما روي : أن الربيع بن خيثم كان يذهب إلى ابن مسعود رضي الله عنه، فمر بحانوت حدَّاد، فرأي الحديدة المحماة في الكير، فغشى عليه.. ولم يفق إلى الغد. فلما أفاق، سئل عن ذلك، فقال: تذكرت كون أهل النار في النار: فهذه غيبة زادت على حدها، حتى صارت غشية.

وروي عن علي بن الحسين: أنه كان في سجوده، فوقع حريق في داره، فلم ينصرف عن صلاته، فسئل عن حاله، فقال: ألهتني النار الكبرى عن هذه النار."[1]

وقد ذكر سيد الشيخ في قصيدته بعد السكر احوالا اخرى يعتبر السكر مدخلا اليها تعتبر ذروة التربية الصوفية وهي مرحلة الفناء وما يصحبها من احول قال الشيخ :

فنيت فلم يغن الفنا عن بقائنا وليس البقا حاجبنا عن فناية

ولا الفرق ايضا حاجبا لاجتماعنا ولا الجمع لي عن ذاك جاء بعكسه

فغبت عن الاكوان طرا باسرها وشاهدت ربنا بعين البصيرة

بمعنى "انهم في مقام الفناء تبقى معهم اوصافهم البشرية اللازمة من حضور عقل وفكر وحواس مع نام وجودهم في عالم الشهادة وان فنيت قلوبهم في محبة الذات العلية" .[2]

[1]: ابو القاسم القشيري النيسابوري الشافعي ،الرسالة القشيرية ، المرجع السابق ،ص77

[2]: الناصر بونيف ،رياض التهاني فيما حوى ياقوت سيدي الشيخ من المعاني ، المرجع السابق ، ص42

وقد فسروا الفناء بالطهارة التامة من المعاصي فقالوا فناء المعاصي او الاستسلام التام لامر الله اي فناء رؤية العبد فعله وهي احوال غير مستقرة ونسبية قد تتحقق في ظروف معينة وقد لا تتحقق والصوفي يجاهد نفسه في الاستمرار عليها حتى تكون له عادة .

وتعريف اخر ابعد في النفس وهو المشهور وهو الخروج في بعض الاحوال عن طوق الحياة الدنيا واهلها الى الاستغراق في جلال الله اي : "الفناء عن الخلق بالحق وهي مرتبة يعتبر ما جاء في التعريفات الاولى مقدمات لها والفناء ايضا مراتب".[1]

وقد استدلوا على الفناء بالعادة كمن يدخل على سلطان فيذهل عن نفسه وعن الحاضرين بل عن صف ذالك السلطان فلا يستطيع ان يصف من ذالك المجلس شيئا وكما هو حال النسوة اللتي قطعن ايديهن لما رأين يوسف عليه السلام ولم يشعرن بالألم بل وصفنه على غير حقيقته

" وقلن حاشا لله ما هذا بشرا ان هذا الا ملك كريم " –اية 31 يوسف– ، " فهذا تغافل مخلوق عن أحواله عند لقاء مخلوق، فما ظنك بمن تكاشف بشهود الحق سبحانه؟".[2]

وبقدر ما يكون الفناء يكون البقاء فمن فني عن المعاصي بقي بالطاعات ومن فني عن رؤية فعله بقي بقيام الله على كل شيء ومن فني عن الخلق بقي بالحق .

ويشير الشيخ في قصيدته الى حال اخرى تبين كمال العبودية وفناء الجهد والوسع وذهاب النفس والحس بما يتلقى المريد من فضل الله حتى لا يرى الا الله ولا يخاطب الا الله ولا يمشي الا حيث احب الله تسمى " الجمع " وله اداب من علم وحلم وحكمة وتواضع

[1]:محي الدين ابن عربي ، الفتوحات المكية ، المرجع السابق ،ص 220

[2]: ابو عبد الرحمن القشري ،الرسالة القشرية ،المرجع السابق ص 76

قال الشيخ : وحال حوى الاصول باسرها طريقة اسلاف بيضاء نقية

فهذه فصولها وشرط كمالها منوط بعلم ثم حلم وحكمة

لها الجمع جمع الجمع جمع اتحادها اصول لها شهود في كل لمحة

وشرط كمالها منوط ومتعلق بالعلم بها وباحوالها وما تحتاج اليه من سائر تعلقاتها والمعرفة بهذا تستلزم الحلم والحكمة لان الحكمة الحقيقية هي المعرفة بالله تعالى.

فكل من حاز هذه الثلاثة يثبت له شهوده ومعاينته بحيث لا يغيب عنه طرفة عين وهي المسمات الجمع وجمع الجمع وجمع الاتحاد ، فما يصدر من العبد من قيام بواجبات ويحدث له من احوال بشرية يسمونه فرقا وما يتلقاه المريد من لطف واحسان من الحق يسمى جمعا وهو مفارقة جزئية للحضور واستغراق شبه كلي في الشهود وهنا حالة فوق هذا تسمى جمع الجمع "وهو الاستهلاك بالكلية، وفناء الإحساس بما سوي الله عز وجل عند غلبات الحقيقة. وبعد هذا حالة عزيزة يسميها القوم: الفرق الثاني وهو أن يرد العبد إلى الصحو عند أوقت أداء الفرائض، ليجري عليه القيام بالفرائض في أوقاتها، فيكون رجوعاً لله بالله تعالى لا للعبد بالعبد ".[1]

ولا يمكن لاحد معرفة حقيقة الامر الا من ولج باب هذه التربية وترقى في اطوارها لعله يدرك هذه الفروق ويتذوقها ويكون له من العلم والمتابعة من طرف اساتذته ما يجعله يصل دون ان يتيه في دروب الطريق .

[1]: محمد بن معروف بن ابي شنافة ، تاج الياقوت وسر الناسوت ، المرجع السابق، ص 05

يقول حجة الاسلام الغزالي :" وعلى الجملة، ينتهي الأمر إلى قرب، يكاد يتخيل منه طائفة الحلول، وطائفة الاتحاد، وطائفة الوصول، وكل ذلك خطأ. وقد بينا وجه الخطأ فيه ... بل الذي لابسته تلك الحالة لا ينبغي أن يزيد على أن يقول:

وكان ما كان مما لستُ أذكرهُ ... فظنَّ خيراً ولا تسأل عن الخبرِ"[1].

ويظهر من قول الغزالي ان الثابت في هذه الطريق لا يكون الا عالما بالشرع وبخاصة اصول الدين والعقيدة الصحيحة ،والا دخل في متاهات الاراء الباطلة والثابت فيها هو من أمسك عن الكلام فيها وتمسك بحقائق الشرع الثابتة .حتى يصل الى درجة التجلي والكمال .

المبحث الثالث : مرحلة التمكين و الكمال الروحي والدعوة وادابها

ثم تأتي مرحلة الكمال وهو بلوغ درجة الولاية والتمكن في السلوك والعلوم الشرعية وكذا قبول الواردات الالهية ينطلق بعدها الصوفي الى الدعوة والتربية ومواجهة الخصوم والذب عن الطريق واهله ولا يكون ذالك حتى يشهد له اساتذته بالولاية ويأتيه 'ذن من عند الله على لسانهم او بالإلهام الصادق.

وتكون بداية الوصول بسماع النداء الالهي وتلبيته التي تؤدي الى زيادة القرب و كمال الاستجابة قال تعالى " يأيها الذين ءامنوا استجيبوا لله والرسول اذا دعاكم لما يحييكم "

– اية 24 انفال– ، وقال تعالى " انما يستجيب الذين يسمعون " 36– الانعام–.

[1]: عبد الحليم محمود ، قضية التصوف المنقذ من الضلال ، المصدرالسابق، ص179

قال الشيخ : سكرنا وهمنا بالشراب فبينما انا بين حالي غيبة وافاقة

دعيت هلم فاستمعت نداءه فلبيته اذن بحسن الاجابة

وادناني منه اذ فهمت مراده وغاب مرادي كله في الارادة

"اي انه لما وصل الى منزلة بين الغيبة في عالم الشهود والافاقة في عالم الشهادة دعى من قبل الحق سبحانه عن طريق الالهام او عن طريق الايات و احاديث الرسول صلى الله عليه فاستجاب لنداء الحق مع حسن الاجابة فناله من ذالك من البركات ان كان في قرب من الله قرب مكانة لا قرب مكان فلم يصبح هناك تناقض بين مراده ومراد الله عزوجل ".[1]

وكان من جراء هذا الاصطفاء ان يفتح الله بصائرهم على عالم الملكوت وكنوز الارض وخوارق العادات قال تعالى " فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد " – 22 سورة **ق** –.

قال الشيخ : واشهدني عوالم الحق كلها وخيرني فاخترته دون مريه

فلما راى رضاي ليس بدونه كساني رداء قربه والخلافة

"فلما راى همتي لم تلتفت الى غيره والتعلق بسواه كساني حلة قربه ثم زادني الخلافة في ملكه فحصلت المزية بسبب ذلك على اقراني واهل زماني" .[2]

فلا يزال المريد في امتحان بعد امتحان حتى يخلص الى درجة سامية عند ربه وتذهب وساوس نفسه وتعلقها بالماديات جميعا فلا يرى الا الله ولا يحب الا الله ولا يكون الا بالله ومهما تواردت عليه الكرامات والمشاهدات فلا يلتفت اليها بل يراها ابتلاءا ويخاف من ان يستدرج

[1]: الناصر بو نيف ،رياض التهاني فيما حوى ياقوت سيدي الشيخ من روائع المعاني ،المرجع السابق ص 42

[2]: : محمد بن معروف بن ابي شنافة ، تاج الياقوت وسر الناسوت ، المرجع السابق ص06

بسببها او يركن الى العطاءات فيتوقف ارتقاءه لتعلقه بالعطاء وغفلته عن المعطي فالعمل من بداية طريق التربية هو كيف توجه كل فكرك وقلبك وروحك الى الله لا الى غيره قال ابن عطاء الله الاسكندراني :" ما من مقام شئت فيه اقامة الا وهواتف الحق تنادي ان الذي تطلب امامك "انما نحن فتنة فلا تكفر" ... بل انهم يرون الكشف والكرامات ابتلاءا وامتحان".[1]

وكان ابو الحسن الشاذلي يقول:"لا تعطى الكرامات من طلبها وحدث بها نفسه ولا من استعمل نفسه في طلبها وانما يعطاها من لا يرى نفسه ولا عمله وهو مشغول بمحاب الله ناظر لفضل الله ايس من نفسه وعمله وقد تظهر الكرامة على من استقام في ظاهره وان كانت هنات افض في باطنه كما وقع للعابد الذي عبد الله في الجزيرة فقيل له ادخل الجنة برحمتي فقال بل بعملي "،[2] حديث العابد رواه المنذري في الترغيب والترهيب.

والكرامات قسمين حسية ومعنوية فالحسية مثل الاخبار بالمغيبات واجابة الدعاء وغيرها من خرق العادة المشاهد عند الناس ، اما المعنوية فلا يعرفها الا الخواص وهي ان تحفظ عليه اداب الشريعة وان يوفق الى مكارم الاخلاق وغيرها مما يقع في القلب والسلوك والعلم وهي امور خاصة في نفوس اهلها وتظهر عليهم في سلوكهم وعلمهم ومداركهم وفيه خرق للعادة ذلك انهم يدركون ما لا يمكن ان يدركه غيرهم من نظرائهم "

[1]: الناصر بو نيف ،رياض التهاني فيما حوى ياقوت سيدي الشيخ من روائع المعاني ،المرجع السابق 43ص

[2]: عبد الوهاب الشعراني ، الطبقات الكبرى ، دار المعارف القاهرة ،ط02 ،ص300

فيتلقاها بالادب اذا وردت عليه وهذه لا يدخلها مكر ولا استدراج بل هي دليل على الوفاء ذالك ان العلم يصحبها ".[1]

قال ابو الحسن الشاذلي :"ما اعظم من كرامة الايمان ومتابعة السنة فمن اعطيهما وجعل يشتاق الى غيرهما فهو عبد مفتر كذاب او ذو خطأ في العلم بالصواب كمن اكرم بشهود الملك فاشتاق الى سياسة الدواب" .[2]

فاذا بلغ الواصل الى الله هذه الدرجة من التجرد التي تجعل منه غارقا كليا في جلال الله وتعظيمه لا يلتفت الى غيره خصه الله تعالى باكرامة واختاره للولاية قال الشيخ :

فلما عرفت وصفي وامتاز وصفه واجلسني بباب صدق العبودة

بذلت له نفسي بجد وقال لي رودك خذ مقام عز ورفعة

فاض علي جوده متواترا ومن وولاني لواء الولاية

"يقول لما انتهى بي مقام الخلة الى مقام الحب خضت في بحوره فازددت صفاءا وصحوا فزادتني الغيبة حضورا فحينئذ ميزت بين وصفي ووصفه فاجلسني في مقام العبودة الذي هو اخر مقام الحب ففاض علي جوده واعطاني لواء الولاية".[3]

وقال الشيخ : ومنذ عرفت الحق غبت عن السوى ولم تطب النفوس الا برؤية

ومهما نظرت كائنا ما بعيدما عرفته لم اعره مني بلمحة

حفظت علوما لم يسعها سماؤها ولم يبلغ انتهاها اهل الاشاره

[1]: محي الدين ابن عربي ، الفتوح المكية ، المرجع السابق،ص 184

[2]: عبد الوهاب الشعراني ، الطبقات الكبرى ،المرجع السابق، ص300

[3]: : محمد بن معروف بن ابي شنافة ، تاج الياقوت وسر الناسوت ، المرجع السابق، ص09

فعمت وخصت في الانام منازلها وفي حضرة كماله المستمرة

سرا سريانا سرّنا في السرائر ولم يدركن بالافهام المعدة

ومن اثر هذه الولاية يأتي الولي من الفتوح ما لا يعلم مداه الا الله "والفتوح كل أمر جاء من غير تعمل ولا أستشراف ولا طلب ظاهراً كان أو باطناً ،وله علامة في ذائق الفتوح وهي عدم الأخذ من فتوح الغير أو نتائج الفكر ،ومن شرط الفتوح أن لا يصحبه فكر ولا يكون نتيجة فكر ، وهو ثلاثة أنواع النوع الاول: فتوح العبارة في الظاهر، قالوا وذلك سببه أخلاص القصد وهو قوله عليه السلام أوتيت جوامع الكلام ومنه القرآن . وأما النوع الثاني من الفتوح فهو فتوح الحلاوة في الباطن قالت الطائفة هو سبب جذب الحق بأعطافه ".[1]

قال الشيخ :

وما من مقام شئت فيه اقامة الا وهواتف الندا بالحقيقة

تنادي هلم فاخلع النعل وادخلن لك الحكم او بك المكارم حفت

حويت بكم وكم مراتب حزتها ولا انست بدون غيره همتي

فكم ايه رايتها في ارتقاءنا ولم تغني عن دونه كل ءاية

"يقول انه لما كان في حال ارتقائه في المقامات كلما ارادت همته ان تتوقف عند ما كشف لها من الاسرار والكرامات الا ونادته هواتف الحقيقة ان الذي تطلب امامك وكم من الايات الباهرة التي

[1]: محي الدين ابن عربي ،فتوحات المكية ، المرجع السابق ،ص 226

لا يخرج عن مثلها الا الكمل مثلي رايتها في حال ارتقائي في المقامات والدرجات ولم نستغني بهذه الايات والدرجات عن الله سبحانه."[1]

ومن اداب هذه المرحلة ايضا تحمل شدة المشاهدات وجهد العبادات وكتم سر المناجات الا ما اذن في تبليغه من العلوم فليس كل ما يعلم يقال وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

" حدثوا الناس بما يعرفون اتحبون ان يكذب الله ورسوله " صحيح البخاري.

قال الشيخ : وعاينت ما لو عاين الغير جزءه لذاب وطاش ما له من قريحة

وحملت نفسي ما لو معشاره على عنان الجبال الراسيات لدكت

ولولا فشو السر كفر بعينه لبحت به ولكن اولى التصمت

واكنني اغضي حياءا واقتفي سبيل ذوي النهي في صون السرير

ومع كل هذه العلوم والاسرار والمقامات العظام والولاية يلزم الشيخ نفسه بأدب التواضع والتسليم لمن سبقه في الطريق وهذا خلق كريم من اخلاق الكرام قال صلى الله عليه وسلم :

" من تواضع لله رفعه " الجامع الصغير للسيوطي.

يقول الشيخ : سلكت طريقا لم يطاها خلافنا ولم يسلكها غيرنا من خليقة

سوى سلف لنا قفونا اثارهم وهم قدوتي من الشيوخ الاجلة

بعد كل ما يتلقاه المريد من علوم وما يصل اليه الواصل من مكاشفات وما يراه النجيب من المغيبات حتى يصل الى مقام الولاية لاينتهي الارتقاء الى هنا بل قال تعالى :

"وفوق كل ذي علم عليم " -الاية 76 يوسف-

[1]: : محمد بن معروف بن ابي شنافة ، تاج الياقوت وسر الناسوت ، المرجع السابق، ص10

يصل العارف بالله الى درجة القطبانية او ما يسمى الانسان الكامل او الغوث او صاحب الوقت.

"و كل شيء يدور عليه أمر من الأمور فذلك الشيء قطب ذالك الأمر هذا لغة

اما في اصطلاح القوم : فهم الجامعون الأحوال والمقامات بالأصالة أو بالنيابة وقد يتوسعون في هذا الإطلاق فيسمون قطبا كل من دار عليه مقام ما من المقامات وانفرد به في زمانه على أبناء جنسه ، فلابد للزهاد من قطب يكون المدار عليه في الزهد في اهل زمانه وكذلك في التوكل والمحبة والمعرفة وسائر المقامات والاحوال ".[1]

قال الشيخ : سرى سريان سرنا في السرائر ولم يدرك بالافهام المعدة

فليس سوانا بعدنا بمعبر عن الحضرة العليا باحلى عبارة

بعزتك اقسمت ثم جلاله لما طاب وقت القوم الا ببيعة

فاي وصول كان من غير بابنا واي دخول منه دون اشارة

" فلما عاين ما اولاه الله به من العناية اقسم بعزه الله وجلاله ماطاب وقت الصوفية وحصل لهم الامن والعافية من سائر الموبقات وكفو جميع المضرات الا بعد بيعته وتقديمه على غيره فصار لهم حرزا وحصنا بعد الله تعالى" .[2]

بلوغ المريد الى درجة ان يكون مرادا بعد الله تعالى ، يقصد للتعليم والتربية والدلالة على الله والدعوة الى بابه تدل على التمكن واخذ الاذن بالتبليغ وتمام التوكل على الله والولاية له .

[1]: محي الدين ابن عربي ،الانسان الكامل اوالقطب او الغوث الفرد ، جمع وتاليف محمود محمود الغراب، مطبعة الكاتب العربي، دمشق 1990م ، ط02، ص03

[2]: محمد بن معروف بن ابي شنافة ، تاج الياقوت وسر الناسوت ، المرجع السابق ،ص11

والقطب هو المعلم الاول والمرجعية المشهود لها بالبلوغ من كافة مشايخ الطرق واتباعهم

" وكل من عرف القطب من الناس لزمته مبايعته واذا بايعه لزمته بيعته ،ولهذا القطب التحكم في ظاهره بما شاء وعلى الاخر التزام طاعته ".[1]

ومن لوازم هذه المنزلة الدعوة الى الله على بصيرة والدفاع عن حياض الطريقة

فيقول الشيخ : فيا اهل عصرنا اجيبوا دعاءنا فاننا ندعوا للهدى عن بصيرة

فيا عجبا لعاطش بازائه بحور مياهها شراب المودة

فدونك فاشرب وارتو من بحورنا فلها شفاء من الاهواء المضلة

"اي انه صار للخلق حق علي ان اعلمهم باني داع الى الله تعالى ومرشد ارشد الى طريق الهدى بان احذرهم وانهاهم عن الامور التي نهى الشرع عنها وابشرهم بما اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم من البشارات ".[2]

مع التزام الادب بانه لم يدعي لنفسه الرسالة ولكنه وارث علم وحكمة من ميراث الانبياء "وان الانبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما ولكن ورثوا العلم فمن اخذ به اخذ بحظ وافر " الجامع الصحيح سنن الترمذي.

ومما يفسر استمرار هذه التربية وانتشارها وعمق تعاليمها هذا التواصل الروحي مع المريدين ومحبتهم والتلطف في عوتهم على بصيرة وتجربة حقيقية وعلم بأسرار النفوس وعلوم الشريعة

[1]: محي الدين ابن عربي ،الانسان الكامل اوالقطب او الغوث الفرد ،المرجع السابق ، ص03

[2]: محمد بن معروف بن ابي شنافة ، تاج الياقوت وسر الناسوت ، المرجع السابق ، ص12

جامعين بين الترغيب والترهيب والاقناع بما وهبهم الله من وجاهة وعلم وكرامات وفتوح واسرار يجعل تصديق المريد لهم واذعان لتربيتهم والصبر على انواع المجاهدات امرا متاحا ويسيرا.

قال الشيخ : فصدق فان الصدق ارفع رتبه لمن يبتغي الوصول فاحفظ مقالتي

لقد شهد المولى باني نصيحكم واني على نصحي جدير بخبرة

فوا اسفا لتارك حبل عهدنا عمي واصم وارتدى بالقطيعة

وياخيبة المشغول عنا بلهوه واضحى بعيدنا سريع الندامة

وفي هذه المرحلة يدعوا الشيخ الى المبادئ الأولى التي ابتدأ بها هو طريقه وهي طلب الصحبة الصالحة الهادية الى الخير والتصديق بحقيقة الطريق وانها طريق حق موصله الى الله وهذا يدل على أصالة واستمرار التربية الصوفية على نفس النسق والمنهج والأطوار لم يغير الشيخ فيها شيئا بل هو يدعوا الى اتباع المراحل التي سار هو عليها وسارها عليها السابقون من قبله من اهل التصوف.

قال الشيخ : دعوت الى باب الكريم عباد دعاء ماذون لم يزل عن بصيرة

وقد جاء ولتكن بمحكم ذكره الى المفلحون اين اهل الاجابة

فكن مقتديا بنا وثق بكلامنا وجد بسيرنا تفز بالمودة

لكن الدعوة الى هذه التربية تلقى معارضة ممن لم يعلم حقيقة التربية الصوفية ومن اخرين لا يرون وجوب هذا السلوك بل لا يرون وجوده اصلا لوقوفهم على ظواهر النصوص.

"فعلم انه لا بد لمن اقتفى اثار الانبياء عليهم الصلاة والسلام من الاولياء والعلماء ان يؤذى كما أوذوا ويقال فيه البهتان والزور كما قيل فيهم ليصبر كما صبروا ويتخلق بالرحمة على الخلق سمعت

سيدي عليا الخواص رضي الله تعالى عنه يقول : لو ان كمال الدعاة الى الله تعالى كان موقوفا على اطباق الخلق على تصديقهم لكان الاولى بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم والانبياء قبله وقد صدقهم قوم وهداهم الله بفضله وحرم اخرون فاشقاهم الله تعالى بعدله..."[1].

قال الشيخ : ولا تسمعن قول عاد معاند حسود لفضل الله بادي التعنت

ومن ينسبن الينا غير مقولنا تصبه بحول الله اكبر علة

فكيف وباسم الحق نهج طريقنا يعود الى ضلال اهل الدناءة

"...وذلك ان بعض اهل الظاهر من أهل زمانه كان يطعن في الشيخ وينكر عليه وما ذاك الا لعدم مخالطتهم الاولياء وموافقتهم لهم والاخد عنهم".[2] وسبب منازعتهم يرجع الى هوى النفس والى طلب الزعامة ومن لم يسلك طريقهم لا يمكنه فهم كثير من اقولهم وتصرفاتهم وربما حسبها تخالف الشرع فيثور عليهم .

ويكون المعارضون ايضا من طالبي الراحة والركون الى ظاهر الشرع دون تحمل مشاق المجاهدة والالتزام ولمعالجة حال الخاملين تستعمل طريق الترهيب والترغيب و تحفيز الهمم وبيان مهالك التكاسل والتغافل عن الله قال الشيخ:

ام كيف رضاء الله يدركه الذي يساخط ربه ويرضى الخليقة

ام كيف لمغتاب الورى ذي نميمة يموت شهيدا او على خير ملة

[1]: عبد الحليم محمود، قضية التصوف ،المدرسة الشاذلية، المرجع السابق، ص10

[2]: محمد بن معروف بن ابي شنافة ، تاج الياقوت وسر الناسوت ، المرجع السابق ، ص20

ام كيف لمسرف الطعام وشربه يذوق مذاقا او يفوز بشمة

كذا من عرف بالفسوق ونحوه يجازى بفعله القبيح ولعنه

فلم يمتثل امرا ولم يجتنب نهيا ولم يذكر المولى خبيث السريرة

فكيف يكون للعلوم مناسبا اخو الكسل والتفريط في خير خلة

أي"فكيف يذوق مذاق العارفين بالله تعالى ويفوز بشمة من علومهم من كان كثير الاسراف مشغولا ببطنه وفرجه كثير الكسل والنوم مقصرا في التمسك والتعلق باذيال المشايخ البالغين مع الله تعالى تاركا لامتثال الامر واجتناب النواهي"،[1]

وياتي في باب الترغيب في بلوغ المراتب قول الشيخ :

اذا ما متطى القوم الدجى لتهجد وحازوا مقام قربه بالمزيه

بمقعد صدق فازوا والرتب العلا واسمى فراديس الجنان الرفيعة

فاعلى مقال العرفين بربهم رضوان الاله ثم زائد نظرة

وذلك كله بفضل الهنا ينال بمن لا بكد وحيلة

واما اسير ذنبه يوم حشر فهالك ان لم ينجنه برحمة

وهكذا تنتهي المراحل كما بدات بالتربية في المرحلة الاول وهو التخلية ثم التحلية مستعملة منهاج الترغيب والترهيب متدرجة بالمريد من حال القساوة والجفاء الى حال الفتوح والولاية باطوار منتظمة واداب متواليه لكل مرحلة .

[1]: محمد بن معروف بن ابي شنافة ، تاج الياقوت وسر الناسوت ، المرجع السابق ،ص17

الفصل الثالث
منهج التربية الصوفية وأركانها من خلال الياقوتة

المبحث الاول : منهج التربية الصوفية من خلال القصيدة

المبحث الثاني : الشيخ المربي وادابه

المبحث الثالث : المريد وادابه

التربية الصوفية اصل الدعوة المحمدية ، لانها تمثل محور التزكية التي دعا اليها الانبياء ، فمنهجها هو منهج التربية الاسلامية ، ومرجعيتها الكتاب والسنة ، فمنهما تاخذ زادها واليهما تدعوا ،كما أن لها اركانا لا يكن ان تقوم بدونها ، فلا بد من شيخ وارث لعلم الحقيقة حتى يصل بالمريد اليها، ولا بد من تابع يسمى المريد مستعد للتلقي والارتقاء ينضبط في جماعة ويداوم على الاذكار والاوراد له بيعة صادقة واعتقاد صحيح في الله .

المبحث الاول : منهج التربية الصوفية

1) المرجعية الاسلامية للتربية الصوفية :

تتعدد مفاهيم التربية بتعدد المرجعيات الفكرية التي تبنى عليها ،والتربية الاسلامية لا تخرج على هذا التعريف فهي ترتبط بالقيم الاسلامية وتخضع طرائق التربية فيها لهذه المرجعية، لذلك تتفق اراء علماء التربية الاسلامية من المحدثين والذين يقرون بان :"التربية الاسلامية انما هي تلك بم التي يرتبط بعضها ببعض في اطار فكري واحد مستندا الى المبادئ والقيم التي اتى بها الاسلام واالتي ترسم عددا من الإجراءات والطرائق العلمية التي يؤدي تنفيذها الى ان يسلك سالكها منهجا يتفق وعقيدة الاسلام".[1]

ثم ان مفهوم التربية مفهوم يتصل بالحياة الانسانية ويشملها في كل جوانبها الخاصة والعامة وفي ضوئه يبنا الحاضر ويستشرف المستقبل من خلال البرامج المتبعة في التعليم والتي تجسد معنى التربية وتضع اللبنات اللاولي لها فلا يمكن فصل مفهوم التربية عن مفهوم التعليم وهو الحال ايضا في التربية الاسلامية .

ويبقى التعليم هو الوسيله المباشرة لتلقين المفاهيم التربوية بوضع المناهج والارتقاء بالطالب الى مستوى اهداف التربوية عبر مراحل منتظمة .

ولما كان لكل امة فكرها وفلسفتها في الحياة ومرجعيتها الفكرية والدينية اختلفت المناهج التربوية المتبعة في التربية واختلفت على اثرها خطط التعليم واهدافه ووسائله.

[1]: عبد الحكيم عبد الغني قاسم، المذاهب الصوفية ومدارسها، الناشر مكتبة مدبولي القاهرة 1999م ،ط 02 ،ص141

"... بعي ان يختلف اي منهج تربوي عن الاخر لاختلاف فلسفة التربية ذاتها عبر العصور التاريخية ويرجع ذالك الى اختلاف المصادر التربوية ".[1]

وقد تميزت المدرسة المسلمة عبر العصور بمنهاجها المنبني على اساس الفكر والعقيدة الاسلامية الداعية الى بناء النموذج الانساني الخير والفعال والمرتبط في كل حياته بالاهداف السامية وهو مطلب كل تربية انسانية ، لكن التربية الاسلامية تميزت عنها بالواقعية و الاعتماد على مصادر الوحي الالهي وارتباطها به، مع مراعات الانسجام بين متطلبات الانسان المادية والروحية فالتوازن مطلوب بين قوى الانسان الداخلية و الخارجية و مع محيطه الذي يعيش فيه وكذالك مع هدف الانسان في بلوغ الكمال وارضاء خالقه والرضى عن نفسه ،ولا يتحقق هذا الا في نطاق منهاج عام في الحياة له مقصد نبيل ووسائل فعالة واقعية ومنطقية وهدف واضح على اسس راسخة صادقة .

"...فالتربية الاسلامية اذن هي تلك المفاهيم العظيمة التي تؤدي بالانسان الى عملية التخلية والتحلية ، التخلية من الاوصاف المذمومة والتحلية بالاصاف المحمودة ،فهي تثقيف للعقل وتقوية للجسم وتزكية للنفس وتطهير للقلب دون ان يكون ذالك تضحية بأي من القوى على حساب قوى اخرى فهي عملية توازن وتناسب وتناسق وانسجام بين قوى النفس وبين قوى النفس و علاقتها بالله والكون والحياة والناس جميعا ".[2]

والتربية الصوفية فرع أصيل من التربية الاسلامية ركز في منهجه على بناء الجانب الروحي

[1]: المرجع السابق ،ص 141

[2]: حسن شرقاوي التربية النفسية في المنهج الاسلامي ، مكتبة الانجلو المصرية 1992القاهرة ،ط 01، ص13

في الانسان هذا الجانب الذي ربما همش في كثير من برامج التربية عموما، ولما كانت التربية الاسلامية الصوفية تريد الوصول بمريديها الى الله لم يكن لها طريق الا كتاب الله الذي كان اول ما نزل منه " اقرأ بسم ربك الذي خلق " –الاية 01 العلق – فدعى الى طلب العلم و بين منهاجه والذي جاء فيه ايضا " قد جاءكم من الله نور و كتاب مبين يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات الى النور باذنه ويهديهم الى صراط مستقيم"

– الاية 16 المائدة – واتباع سنة رسول محمد صلى الله عليه وسلم قال تعلى "وانزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم ولعلهم يتفكرون " –الاية44 النحل – فالسنة هي البيان لمشكل القرءان والمنهج التطبيقي .

"وجوهر الفلسفة التربوية الصوفية من القران الكريم وهو المصدر الاول والثاني وهو السنة فعلا و قولا" .[1]

قال الشيخ : يبين ارتباطه بمنهج الله ورسوله صلى الله عليه وسلم وبما تحصل له من فهم لكتاب الله و اقوال العلماء الربانيين :

احذركم بما النبي قد اتى به واخبركم بما اتى من بشارة

ولست بمدعي الرسالة غير ما تحصل لي من ارث علم وحكمة

[1]: عبد الحكيم عبد الغني قاسم، المذاهب الصوفية ومدارسها ،المرجع السابق ، ص114

وكتاب الله وسنته تفتح باب الاجتهاد لكل من ملك وسائله مع التزام بمنهجه ، ومشايخ الصوفية كان فيهم من العلم ما يخولهم الخوض في باب الاجتهاد في فهم النص وتأويله، "اذ الولي قط لا ياتي بشرع جديد وانما ياتي بالفهم الجديد في الكتاب والسنة الذي لم يكن يعرف لاحد قبله.. فكلهم عدول في الشرع اختارهم الله عز وجل لدينه فمن دقق النظر علم انه لا يخرج شيء من علوم اهل الله تعالى عن الشريعة وكيف تخرج علومهم عن الشريعة والشريعة هي اوصلتهم الى الله عز و جل ولذالك قال الجنيد رحمه الله تعالى: "علمنا هذا مشيد بالكتاب والسنة"، ردا على من توهم خروجه عنهما في ذلك الزمان وغيره"[1].

لذالك كان علم التصوف علما قائما بذاته له اجتهاداته الخاصة ومباحثه واخلاقياته مما يثري الشريعة الاسلامية ولا يناقضها ولقد انتج الفكر الصوفي جما من العلوم التي صارت موردا لكل مرب وطالب علم وكانت هذه العلوم نتاج الالتزام بالمنهج التربوي وركائزه من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم والسير على طريق علماء التربية الصوفية .

ولشيوخ الطريق واقطابها مذاهب في الاعتقاد والفقه والاخلاق تضاهي مذاهب اهل الشريعة او تسايرها لما تميزوا به من علم ونظر وحجج مؤيدة بالمعارف الربانية التي تحصلوا عليها من خلال الرياضة الروحية.

" فالذي للناس غيب، فهو لهم ظهور، والذي للخلق من المعارف مقصود فلهم من الحق سبحانه موجود، فهم أهل الوصال، والناسً أهل الاستدلال".[2]

[1]: عبد الوهاب الشعراني ، الطبقات الكبرى ، دار المعارف القاهرة ، ط02 ، ص7

[2]: ابو القاسم القشيري ، الرسالة القشيرية، المرجع السابق ، ص332

وللارتباطهم الوثيق بمصادر منهجهم التربوي من كتاب وسنة فقد برعوا فيهما بل كانوا سادة في العلم والحكمه بشهادة علماء كل عصر منهم ومن غيرهم .

"ولم يكن عصر من الأعصار في مدة الإسلام إلا وفيه شيخ من شيوخ هذه الطائفة، ممن له علوم التوحيد، وإمامة القوم إلا وأئمة ذلك الوقت من العلماء استسلموا لذلك الشيخ، وتواضعوا وتبركوا به..ولولا مزية، وخصوصية لهم، وإلا كان الأمر بالعكس..."[1].

ومثال على هذا التفوق العلمي والتمسك بالكتاب والسنة والتأييد الهي في فهمهما ما مثله الشيخ ابو الحسن الشاذلي فقد كان متفرد الموهبة متوقد الفؤاد بالمعارف الالهية مما اعطاه فهما وعلما خاصا خضعت له قلوب الناس عالمهم وعاميهم.

مما يدل ايضا انه لم يكن يخرج عن اصول الدين وكذالك هو الحال مع كثير من علما التربية الصوفية ممن التزم المنهج النبوي .

قال الشيخ : كذا نسبة الابرار وصفوة الملا لها شرف ينمي لعز ورفعة

فمن قدوة علا الى نخبة سما ومن صفوة رقى لاسمى الخلاصة

وتلك من بحر النبوة أنشئت ومنه استمدت الفحول الدراية

2) اهداف التربية الصوفية :

فالبلوغ بالانسان الى درجة الريادة في التكامل الاخلاقي والمعرفي هي من ارقى الاهداف لكل تربية

[1]: المرجع نفسه ،ص 333

والانسان المسلم المومن بهذه المبادئ والذي يريد الوصول الى اكمل القيم الاخلاقية والمعرفية يعتبر اللبنة الاولى في البناء التربوي .

تدور فلسفة التربية الصوفية حول منطلقين اساسيين احدهما المسلم الصوفي بكل طاقاته وامكانياته وارتباطه بالكون بما فيه من خصائص واسرار ، وثانيهما علاقات الصوفي بربه وخالقه .

وعلى ضوء هده العلاقة التي تبنى على هدى من الله وتربية ممنهجة يكون انطلاق هذا الفرد المسلم في الحياة وفي ترتيب العلاقات المتداخلة فيها، وكذا مع نفسيته والسيطرة على غرائزها الجامحة .

ولا يتأتى هذا الا برياضة النفس وتربيتها وفق منهج مدروس معلوم المراحل والاهداف

"....ومن هنا كانت اهمية الرياضة النفسية لتقوية العزيمة ... والعزيمة باب الصحة النفسية ".[1]

والنفس هي محل امراض ورذائل ورواسب من العادات السيئة والشهوات الجامحة تستوجب المعالجة السريعة الواعية والهادفة والا اودت بصاحبها الى المهالك الفردية والاجتماعية وانتجت افكارا خاطئة وتصرفات مضرة يقول الغزالي:

"مثال النفس في علاجها بمحو الرذائل والأخلاق الرديئة عنها وجلب الفضائل والأخلاق الجميلة عليها، مثال البدن في علاجه بمحو العلل عنه وكسب الصحة له وجلبها إليه.

[1]: حسن شرقاوي التربية النفسية في المنهج الاسلامي ،المرجع السابق، ص29

وكما أن البدن في الابتداء لا يخلق كاملاً وإنما يكمل ويقوى بالنشوء والتربية بالغذاء؛ فكذلك النفس تخلق ناقصة قابلة للكمال؛ وإنما تكمل بالتربية وتهذيب الأخلاق والتغذية بالعلم."[1]

لذلك سعت المدارس الصوفية الى استئصال داء الانفس والسعي وراء العلاج البديل لكل المناهج النظرية التقليدية التي تعالج الظاهر وتحشوا العقول بالمعلومات الكثيرة دون الالتفات الى الروح الانسانية وصبر اغوارها ومحاولت تغييرها الى الأحسن لينفتح باب القلوب الى المعارف وتصفوا القريحة للتلقي والابتكار على مراحل انتجتها التجارب المتوارثة من المشايخ عبر العصور واملاها الواقع المعاش ، فقد اهتم المنهج بالفرد الصوفي اهتماما كبيرا فوضع له النظم التي تعمل لى تهذبيه خلقيا وروحيا وعقليا كما وضع المواد العلمية التي تتماشى مع استعدادات وميول وقدرات وحاجات المريد و راعى في منهجه الفروق الفردية بين جماعته وعمل على التوازن المنشود بين متطلبات الحياة الطبيعة الدنيوية للإنسان وحاجات كل من العقل والروح حتى يكون الفرد متماسكا مترابطا مع جماعته ويقوم بوجباته نحو نفسه ومجتمعه الاسلامي امرا بالمعروف وناهيا عن المنكر ومشاركا في الحياة العامة بفكر واسع وروح قوية متماسكة صافية خالية من الامراض النفسية والجسدية .

ولقد اثبت التاريخ ان التجارب الناجحة في التربية الصوفية على منهاج النبوة انتجت جيلا اشبه بجيل الصحابة له من القوة والفاعلية في المجتمع ما جعله جامعا بين الدين والدنيا قائما بواجبه اتجاه

[1]: ابو حامد محمد بن محمد الغزالي ، احياء علوم الدين ،دار ابن حزم، بيروت 2005م، ط01 ،ص943

نفسة فلم يهملها واتجاه اسرته وكذا اتجاه مجتمعه وامته متمكنا من عناصر القوة المادية والجسمية والروحية .

" ينس المنهج الامكانيات الجسدية بل اهتم بها وعمل على تنميتها حتى يقوم الفرد الصوفي باكتساب قوته وقوت اسرته اويشارك في الجهاد الذي فرضه الله على المسلمين ".[1]

ولذلك كان التوجه الى الروحانيات وتغليبها على الامكانات الاخرى للطالب من اخطاء المنهجية التي نتجت بسبب الخروج عن المرجعية التعليمية والاسس التربوية المستمدة من كتاب الله الذي يعتبر الاساس التنظيري لها والسنة المطهرة التي هي المجال التطبيقي في هذه العملية .

ولا ادل على ذلك من المشاركة الفعالة لمشايخ الصوفية في هموم الامة والتضحية بالنفس في سبيل حريتها ونشر الصلاح فيها بل تتصدر الزعامة في ذلك والتاريخ خير شاهد على ذلك عبر العصور

"ومن هذا المنطلق لعبت الجماعات الصوفية الاسلامية دورا كبيرا في الحياة العامة فقد ناضلت الاستعمار خلال الفترات التاريخية المختلفة وانتصرت عليه في اكبر المعارك معه".[2]

اما الاهداف العملية من وراء الالتزام بالمنهج التربوي الصوفي فهي بلوغ الفناء في الله محبة وشوقا وطاعة وكشفا للحجب ونيل الراحة النفسية والمعارف اللدنية

-قال الشيخ : ايتها شم وذوق وشربها به ري خمر ثم سكر بغيبة

فامطارها فكر وذكر وعبرة محو ذواتها للذات العظيمة

[1]: عبد الحكيم عبد الغني قاسم، المذاهب الصوفية و مدارسها، المرجع السابق ،ص121

[2]: المرجع نفسه، ص116

من بعد غيم جاء صحو سمائها باشراق شمس بالمعارف حفت

فجذب له عزم انتهى دون حاجب الى حضرة القدوس زج بسرعة

فهذه حال لها حوى الاصول باسرها طريقة اسلا ف بيضاء نقية

فهذه فصولها وشروط كمالها منوط بعلم ثم حلم و حكمة

وتفصيل هذه الاهداف يكون كالتالي :

اولا : صفاء النفس : " تسعى المدرسة الصوفية الى ايجاد صفاء للنفس وذالك عن طريق المجاهدة الشاقة والمكابدة ولهذا وضعت عدة تدريبات قاسية لها يما رسها الطالب الصوفي عمليا تحت اشراف استاذ خبير بطبيعة بالمنهج التربوي الصوفي تدخل تحت مبدا التخلية من الرواسب النفسية السيئة". [1]

قال الشيخ : فدونك فاشرب وارتو من بحورنا فلها شفا من الاهواء المضلة

وقال: و أي معد للذنوب ومحوها اشد من اسم ذي الصفات الجليلة

و أي طبيب للقلوب من العمى اطب من الذكر القوي الاشارة

ثانيا : الدعوة الى المعرفة : "وهو هدف هام تجعله التربية الصوفية في نيتها ومرادها وتسعى الى تحقيقه بكافة الطرق وهو احراز الحكمة ؛ والحكمة تأتي عن طريق المعرفة ومصدر الحكمة والمعرفة هو الله سبحانه وتعالى فانه اودعهما سبحانه في الكون والانسان" [2]

---

[1]: عبد الحكيم عبد الغني قاسم، المذاهب الصوفية و مدارسها، المرجع السابق ،ص122

[2]: المرجع نفسه، ص122

وقد وضح القران الكريم كيفية الحصول عليهما بان دعى الى التامل والبحث الدقيق في الكون والانسان ، قال تعالى "ان في خلق السموات ولارض وختلاف الليل والنهار لأيات لاولي الالباب لذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والارض ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك " سورة ال عمران ، وقال تعالى "وفي انفسكم افلا تبصرون "الاية 21سورة الذاريات- .وبهذا الاسلوب سارت الصوفية في تربية مريديها

قال الشيخ : فكيف يكون للعلوم مناسبا اخو الكسل والتفريط في خير خلة

ثالثا : احترام العمل : تدعوا المدرسة الصوفيه الى العمل المنتج الخير ومضاعفته والاخذ بأسباب القوة وهذا لا ياتي الا عن طريق مضاعفة العمل والانتاج سواء كان ذالك في مجال الصناعة اوالزراعة اوالتجارة وليس عيبا ان يعمل الانسان جامعا للحطب وانما العيب ان يمد يده للناس فان شاءوا اعطوه او منعوه وقد حث الله سبحانه وتعالى المومنين على العمل حيث قال عز وجل "وقل اعملوا فسيرى الله عملكم..."ونهى رسوله صلى الله عليه وسلم عن المسألة

قال الشيخ : فانا لبطال يظل مثبطا حليف الكرى غرا بطيء الإفاقة

ينال مقام القوم أو يدرك المنى ويفهم عنه وهو صاحب سكرة

رابعا : التمسك بالاخلاق الحميدة : قال الله عز واجل في وصف الرسول عليه الصلاة والسلام " وانك لعلى خلق عظيم " –الاية 05 ن – وبذالك صارت القدوة العملية هي رسول الله صلى

الله عليه وسلم التي اصلحت الكثير من افعالهم واقولهم في دائرة الاسلام ثم توفر لهم المصدر النظري في الاخلاق وهو القران الكريم الذي وضح الكثير من اخلاق الانبياء واخلاق اتباعهم "ومن الاخلاق الاسلامية لا يوجد فصل بين العبادات الروحية والمعاملات المادية وبين اخلاق الفرد واخلاق المجتمع ".[1]

قال الشيخ : وكف الاذى وحمله وتصبر ولا تنسى الرضى بادهى المصيبة

وزهد وتسليم وعفو وعفة وتفويض امر والشهود بمنة

3- وسيلة التربية الصوفية :

وعلى اختلاف التربية الصوفية الا ان ما يتلقاه المريدون من علوم يبقى متقاربا فيها يخدم الاساس الذي انطلقت منه دراسة وتطبيقا وهو القرءان والسنة النبوية فهما وتتبعا.

لقد تعددت المواد العلمية ووضعت بطريقة مترابطة وقسمت الى عدة انواع هي:

النوع الاول : ويشمل القران الكريم ، حفظا وتفسيرا وفهما وادراكا .

النوع الثاني : السنة الشريفة ، ويقوم السالكون بحفظ بعض الاحاديث النبوية على ان يقتدوا بما كان يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم .

النوع الثالث : التعرف على حياة رسول الله ونسبه وخلقة وبعثته وحربه مع الكفار والدعوة الى الاسلام حتى ياخذ الصوفي العبرة من هذه الحوادث .

[1]: عبد الحكيم عبد الغني قاسم، المذاهب الصوفية و مدارسها، المرجع السابق ، ص120

النوع الرابع : وهي تخص الصوفي في صلته بربه وهي عدة علوم مختلفة منها علم التوبة وعلم الذكر وعلم الخوف وعلم الحب وعلم الورع والشكر والصبر والاخلاص وعلم الطهارة وقد سمت الصوفية هذه العلوم بالمقامات .

النوع الخامس : وهي التربية الخلقية فقد اهتم المنهج بها اهتماما شديدا .

والجانب العملي في المشهد الصوفي يتمثل في الخلوة وهي درجة رفيعة لدى الصوفية وجزء هام في التربية وقد وضعت لها عدة قواعد منها :

1- الانقطاع بعض الوقت عن الاحتكاك بالناس الا بقدر ضروري يلتزم فيه المنقطع بذكر الله سبحانه وتعالى ويتم ذلك بتوجيه من شيخه .

2- قبل الانتهاء من عملية الانقطاع يأخذ الطالب قسطا كبيرا من بعض العلوم قد اقرها الشيخ ع طلابه حسب قدراتهم واستعداداتهم وميولهم ويشترط في هذه الخلوة عدم الاعلان عنها بين الناس وان يكون موعدها سرا بين الشيخ ومريده .[1]

والملاحظ ان ما يتعلمه الصوفي لا يختلف كثيرا عما يتعلم في الحلق العامة ، الا ان تناولها لا يكون بنفس الطريقة فبينما تركز حلقات التعليم عموما على ظاهر النصوص وتطبيقاتها

---

[1]: عبد الحكيم عبد الغني قاسم، المذاهب الصوفية و مدارسها، المرجع السابق ، ص224

المعاملاتية فقط ، يتجه الصوفية الى باطن النصوص وفحواها الروحي فليست النصوص هدافا

في ذاتها بل وسيلة الى فهم الطريق والتقوي فيه لبلوغ الهدف وهو اصلاح الباطن وصفاءه لتلقي ما هو اسمى وهو العلم المباشر والالهام الصادق، و الذي سينعكس بدوره على هذه النصوص فيعطيها معنا ابعد واوضح في نظر العارف بالله ومن ثم تطبيق اقرب الى القبول عند الله واتباعا اسلم لسنة رسوله صلى الله عليه وسلم .

2- طريقة التربية الصوفية :

وتعتمد التربية الصوفية على طريق التخلية والتحلية وهي العملية التي سماها القرءان بالتزكية وهي وظيفة الرسل مع اتباعهم " لقد من الله على المؤمنين اذ بعث فيهم رسولا من انفسهم يتلوا عليهم ءاياته و يزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين " سورة ءال عمران ،وهذه العملية يستعان فيها بتحريك كوامن النفس من رغبة ورهبة وهي طريقة القرءان قال تعالى " نبئ عبادي اني انا الغفور الرحيم وان عذابي هو العذاب الاليم "سورة الحجر.

فالغرائز الجامحة تكون اول عائق في طريق الوصول اذا لم توجه في مصلحة الانسان وتهذب بطريق الايمان وتقابل بأضدادها و يتحكم في اهوائها.

قال الغزالي:"... أن الطريق الكلي فيه سلوك مسلك المضادة لكل ما تهواه النفس وتميل إليه وقد جمع الله ذلك كله في كتابه العزيز في كلمة واحدة فقال تعالى : وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة هي المأوى-الاية 40 النازعات -".[1]

[1]: ابو حامد الغزالي ، احياء علوم الدين ،المرجع السابق ،ص 950

ولتبليغ هذه المفاهيم الى المريدين كانت حصص التربية تقدم بطرق مختلفة حسب حال الشيخ والمريد والمكان والزمان المخصص لذلك ومن عصر الى عصر لكنها تتميز كلها بصور متقاربة من اول نشوئها الى اليوم الحالي لم تتأثر كثيرا بالتقدم المادي وطرائق التعليم ووسائله المتجددة وبقية في اغلبها محافظة على نمطها التقليدي في التلقين .

وقد حصر علماء التربية الصوفية والاسلامية هذه الطرق في :

1- طريقة الحلقات – الرواية – السماع – المناقشة – الاملاء – الحفظ والاستظهار – الفهم – الرحلة في طلب العلم – طريقة القدوة – القصص – ضرب الامثال –الاستشهاد بالقران الكريم والاحاديث والحكم – طريقة الشعر ..لما فيه من ارق الالفاظ والمعاني التي تثير الوجدان وتقوي الاحساس

وقد تكون التربية تلقينا بالألفاظ او ممارسة بين الجماعة الصوفية.[1]

المبحث الثاني : الشيخ المربي

1- دور الشيخ في عملية التربية :

[1]: عبد الحكيم عبد الغني قاسم، المذاهب الصوفية و مدارسها، المرجع السابق ، ص224

ويشرف على هذه العملية مشايخ قد مروا بالطريق نفسه وتمرسوا على مدارج الوصول وحلقات العلم والتربية والترقي في المقامات والسلوك لذالك كان لزاما على طالب الطريقة ان يتبع شيخا عالما ان كانت لديه الارداة في البلوغ الى درج الكمال

"فإذن المانع من الوصول عدم السلوك والمانع من السلوك عدم الإرادة والمانع من الإرادة عدم الإيمان، وسبب عدم الإيمان عدم الهداة والمذكرين والعلماء بالله تعالى الهادين إلى طريقه والمنبهين على حقارة الدنيا وانقراضها وعظم أمر الآخرة ودوامها".[1]

قال الشيخ:

واي سلوك كامل دون صحبة واي اهتداء شامل دون منحة

واي طريق راشد غير رشدنا واي اهتمام الوقت من غير همة

فصدق فان الصدق ارفع رتبة لمن يبتغي الوصول فاحفظ مقالة

قال ابن عربي في الفتوحات: "اعلم أيدك الله ونورك أنه أول ما يجب على الداخل في هذه الطريقة الإلهية المشروعة طلب الأستاذ حتى يجده". [2]

عمل الاستاذ الاشراف على طلبة العلم وتوجيههم عبر مراحل التعليم وقد يكون لكل مرحلة استاذها ينتقل اليه المريد بتوجيه من اساتاذه الاول وبعد تزكية منه ، تسمى مرحل التعليم بالمقامات وهي مقامات روحية تاتي بعد التزود بالعلوم العقلية المناسبة لكل مقام لا يرتقي الطالب من مرحلة لاخرى الا اذا اقر اساتذته اجتيازه المرحلة بنجاح ، وكل صاحب طريقة واستاذ يختار

[1]: ابو حامد محمد بن محمد الغزالي ، احياء علوم الدين، المصدر السابق ،ص937

[2]:محي الدين ابن عربي، الفتوحات المكية ، المرجع السابق ، ص252

لطلابه ما يناسبهم وما تجلى له من خلال ممارسته انه ينفعهم على حسب قدراتهم ولا يخرج عن المنهج العام للتربية الصوفية

"يقوم كل استاذ بوضع القواعد والاسس والتنظيمات لطلابه في هذه المراحل فان اجتازها شهد لهم بذالك واقر بما توصلوا اليه لهذا اهتم المنهج الصوفي بتنظيم الحياة اليومية للصوفي .." [1]

وليتم ذالك يقينا لابد من مربي ومريد تكون بينهما رابطة قوية اساسها الثقة والادب حتى تتحقق التربية السليمة فان كبار المشائخ من كبار المربين ولولا هذا لما تاتى ان يصلوا بالمريد الى الله .

قال الشيخ : فكن مقتديا بنا وثق بكلامنا وجد بسيرنا تفز بالمودة

فاي وصول كان من غير بابنا واي دخول منه دون اشارة

2 – اداب المربي :

الرابطة بين المربي وطالب العلم المريد لها اداب وشروط منها :

1– النصيحة الخالصة التي لا ترتبط بمنفعة او مصلحة

قال الشيخ عن نفسه :

لقد شهد المولى باني نصيحكم واني على نصحي جدير بخبرة

[1]: عبد الحكيم عبد الغني قاسم، المذاهب الصوفية و مدارسها، المرجع السابق ، ص122

تكون النصيحة متجردة واعية بحال المريد وقدراته الجسمية والعقلية وملكاته الروحية وهذه الاشياء لا يعرفها الا من تمرس في التعليم والتربية

"ولذلك قيل يجب على الشيخ أن يتفرس في المريد فإن لم يكن ذكياً فطناً متمكناً من اعتقاد الظاهر لم يشغله بالذكر والفكر، بل يرده إلى الأعمال الظاهرة والأوراد المتواترة، أو يشغله بخدمة المتجردين للفكر لتشمله بركتهم فإن العاجز عن الجهاد في صف القتال ينبغي أن يسقي القوم ويتعهد دوابهم ليحشر يوم القيامة في زمرتهم وتعمه بركتهم، وإن كان لا يبلغ درجتهم"[1].

2- ان يتحقق في المربي بالحلم والشفقة والرحمة بمن يتولى تربيتهم

قال الشيخ :

فوا اسفا لتارك حبل عهدنا عموا وصموا وارتدوا بالقطيعة

ويا خيبة المشغول عنا بلهوه فاضحى بعيدانا سريع الندامة

وياحسرة الذين دانوا ببعدنا الى ان تجرعوا كؤوس المنية

يتاسف ويحزن الشيخ عن المحرومين من اهل زمانه الذين تركوا حبل عهد العلماء وفي البيت الثاني نداء يفيد التحسر على المشغول من الناس عن ائمة الهدى باللهو واللعب و في البيت الثالث يتحسر الشيخ عن الذين دانوا ببعده اي اتخذوا البعد عنه دينا لهم لاينفكون عنه حتى تجرعوا كاس المنية.

[1] - ابو حامد الغزالي ، احياء علوم الدين ، المصدر السابق، ص 940

وهذ ا داب المربين جميعا ممن تمكنوا في هذه الطريق ،الرحمة والشفقة على الناس جميعا وعلى مريديهم خصوصا، ومعالجة امراضهم النفسية والسير بهم الى معالى الامور والخوف عليهم من محبة الظهور

"و يتفقدون حال مريديهم ويسالون عما ظهر من احوالهم وعما خفي وكانت تربيتهم جماعية فردية اي انهم كانوا يتحدث عن امراضهم عامة و لا يقتصر على ذلك بل يعالجون كل فرد بما يتناسب مع مرضه الخاص "[1].

3- ان يترفق بهم ويقوي عزائمهم على المجاهدة والعمل على مخالفة العادات والطبائع الرذيلة

قال الشيخ : وما اقبح التسويف عن قرب بابنا وما احسن التشمير قبل الاماتة

يدعوا المريد الى التشمير والبعد عن التسويف المبعد عن المقصود وهواتباع طريق الصوفية الموصل الى الله .

4- ان يحسن تربيته و تأديبه ولا ينتظر من ذالك عوضا .

قال الشيخ : فاعلى مراتب العارفين بربهم رضوان الاله ثم زائد نظرة

اي ان اعلى وغلى ما يطلبه العارفون هو رضوان الله ثم النظر الى وجهه الكريم

قال تعالى " للذين احسنو الحسنى وزيادة " سورة هود ،ولا يمكن ان ينال هذا الفضل من اشترى بئايات الله ثمنا قليلا وجعل الدعوة مطية لاغراضه من طلب السمعة والمال والجاه والتزلف الى

[1] - عبد الوهاب الشعراني، الطبقات الكبرى ، دار المعارف القاهرة ،ط02 ، ص197

الملوك والرؤساء بينما اهل الله في كل زمان تتزلف اليهم الدنيا واهلها فلا يلتفتون اليها بل عملهم مع المريد لله تعالى ولو كان مريدا واحدا،

وكان ابو العباس يقول" مريد واحد يصلح ان يكون محلا لوضع اسرارك ، خير من الف مريد لا يكونون محلا لوضع اسرارك ".[1]

5- ان يعتبر المربي من يربيهم بالاسهل واذا ما قويت عزيمتهم يامرهم بالاشد

وهذا يظهر من خلال النظر الى مراحل التربية الصوفية التي ترتبة حسب نظم القصيدة

فاولا دخول المريد في الجماعة ثم تلقي العلوم الضرورية ثم اخذ الذكر اي الورد ثم بداية المرحلة الثانية من تبدا الكشوف والمشاهدات ثم المرحلة الثالثة مرحلة الفناء والكمال

في كل هذه المراحل لا يخلوا المريد عن شيخه ولا يستغني عن ارشاده

"فكذلك الشيخ المتبوع الذي يطبب نفوس المريدين ويعالج قلوب المسترشدين ينبغي أن لا يهجم عليهم بالرياضة والتكاليف في فن مخصوص وفي طريق مخصوص ما لم يعرف أخلاقهم وأمراضهم. وكما أن الطبيب لو عالج جميع المرضى بعلاج واحد قتل أكثرهم فكذلك الشيخ لو أشار على المريدين بنمط واحد من الرياضة أهلكهم وأمات قلوبهم ".[2]

6- ان يكون ملجا المريد عند الحاجة ومرشده وموجهه وان يعظه في السر و ان يصغر له احواله واعماله لان التعجب يفسد المجاهدة

[1]: عبد الوهاب الشعراني، الطبقات الكبرى ، المرجع السابق ، ص 301

2: ابو حامد الغزالي ، احياء علوم الدين ، المرجع السابق ،ص 960

يقول ابو العباس المرس انه يجوز للمريدين اخبار الاستاذ بما في بواطنهم ويعلل ذالك بما معناه :"ان الاستاذ كالطبيب وحال المريد كحال المريض والمريض يكشف كل شيئ للطبيب ولا يخفي عنه شيئا".[1]

قال الشيخ : وعاينت ما لو عاين الغير جزأه لذاب وطاش ما له من قريحة

وحملت نفسي ما لو معاشره على عنان الجبال الراسيات لدكت

لكن هذه الطريق فيها من الصعوبة ما جعلها عند البعض قليلة الجدوى ولا تكاد تنتج الاهداف المنوطة بها لبعد الطريق وكثرة الشواغل التي تغلب على النفس من داخلها ومن خارجها ينقل الغزالي هذا الاعتراض الذي يظهر انه منطقي فيقول:

"وأما النظار وذوو الاعتبار فلم ينكروا وجود هذا الطريق وإمكانه وإفضائه إلى هذا المقصد على الندور فإنه أكثر أحوال الأنبياء والأولياء، ولكن استوعروا هذا الطريق واستبطؤا ثمرته واستبعدوا استجماع شروطه، وزعموا أن محو العلائق إلى ذلك الحد كالمتعذر وإن حصل في حال فثباته أبعد منه، إذ أدنى وسواس وخاطر يشوش القلب وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم " قلب المؤمن أشد تقلباً من القدر في غلیانها " وقال عليه أفضل الصلاة والسلام " قلب المؤمن بين إصبعين من أصابع الرحمن" وفي أثناء هذه المجاهدة قد يفسد المزاج ويختلط العقل ويمرض البدن".[2]

[1]: عبد الوهاب الشعراني، الطبقات الكبرى ،المرجع السابق ، ص 301

[2]: ابو حامد الغزالي ، احياء علوم الدين ، المرجع السابق ،ص 944

لكنه يعود فيقرر ان العاصم من الزلل في هذه الطريق والضامن للبلوغ فيها الى درجة الكمال هو العلم بمسالك هذه الطريق .

" إذا لم تتقدم رياضة النفس وتهذيبها بحقائق العلوم نشبت بالقلب خيالات فاسدة تطمئن النفس إليها مدة طويلة إلى أن يزول وينقضي العمر قبل النجاح فيها، فكم من صوفي سلك هذا الطريق ثم بقي في خيال واحد عشرين سنة ولو كان قد أتقن العلم من قبل لانفتح له وجه التباس ذلك الخيال في الحال، فالاشتغال بطريق التعلم أوثق وأقرب إلى الغرض".[1]

ولقد برز في كل عصر من العصور واصلون بلغوا مرادهم من هذه التربية وخلفوا مريدين واورادا ومذهبا مجددا فلم يخلوا الزمان من ولي لله يدعوا الى الله على بينة ومنهج واضح مما يدل ان الخلل ليس في الطريق بل في بعض المنتسبين اليها دون الوقوف عند شروطها ودون قدوة عالمة بمسالك الطريق.

3) الشيخ الماذون :

قال الشيخ : دعوت الى باب الكريم عباده دعاء مأذون لم يزل عن بصيرة

لقد قرر علماء الصوفية ان المربي لا يكون مربيا نافعا الا اذا تحصل على اذن مباشر من اساتذته او تلقى ذلك الهاما من الله تعالى حتى يكون موفقا في رسالته فليس كل الناس يصلح للدعوة وان كان عالما فالدعوة والتعليم الرباني هي عمل القلب قبل ان تكون عملا للجوارح. فبعد المجاهدة و

[1]: المرجع نفسه ،ص 944

2: عبد الحليم محمود ، قضية التصوف ، المدرسة الشاذلية ،المرجع السابق ، ص 32

السير في طريق التعلم والخلوة ينال الشيخ الاذن في نشر الدعوة وهداية الناس فيكون تأثيره واضح وصيته مسموع فالدعاة على قسمين دعاة بالإذن العام او الواجب العام في الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وهؤلاء يتفاوت تأثيرهم بحسب اخلاصهم وعلمهم وقسم اخر سمعوا النداء بعد مجاهدة للنفس حتى استنارت قلوبهم واصبح سرهم مع الله فاضحوا من اوليائه وهم ينتظرون الاذن في كل شيئ حتى في المباح منها فضلا عن الاذن الخاص بالدعوة .[2]

4) القاب معلمي المدرسة الصوفية :

1- الشيخ او الاستاذ (الفقيه – الامام – المرشد) هو امام التربية الصوفية وعمودها الذي يرعى طلابه ويشرف على تربيتهم ، كما انه يقوم بوضع المنهج التربوي لهم ويحدد مواعيده. 2- القطب الروحي : هو صاحب اعلى الدرجات العلمية في التربية الصوفية ومحل نظر الحق تعالى ويمتاز بدرجة عليا في الناحية الروحية لايصل اليها غيره الا بجهد كبير .[1]

---

[1]: عبد الحكيم عبد الغني قاسم، المذاهب الصوفية و مدارسها، المرجع السابق ، ص127

وتتوفر فيهم عدة شروط منها :

– ان يلتزم بالكتاب والسنة كمنهج دراسي وتأدية فرائض التي يلتزم بها عامة المسلمين وخاصتهم

– ان يعرف نفسيات طلابه وما فيها من امراض وكيفية العلاج منها حتى يمكنه ان يربي طلابه على منهجه التربوي

– يلتزم الشيخ في اقواله وافعاله بأسس المحبة لله الخالق سبحانه وتعالى وان يتوكل عليه ويخاف منه رهبة وان يتابع مريديه ويحاسبهم عن التقصير حتى يصل بهم الى درجة علمية اكبر[1].

قال الشيخ : فاولها ولي ثم نقيبها نجيب كذا الابدال فاقوا برتبة

عمادهم الاخيار اوتادهم حبوا بخاصية المولى هم اهل الخصاصة

وغوث استغاث ثم جرس علومها وقطب له اعلى مقام الولاية

فشيخ الشيوخ ذك شيخ زماننا اليه انتهت فنون هذي الطريقة

يقول " اول مراتب من يتخلق بالاخلاق السالفة الولي وعددهم كثير ثم النقباء وعددهم اربعون ثم الابدال السبعة ثم الاعمدة الثلاثة ثم الاوتاد الاربعة ثم الغوث ثم الجرس ثم القطب".[2]

وهذه الرتب والاعداد لا يمكنها ان تخرج عما اشار اليه القرءان الكريم وهم النبيون والصديقون والشهداء والصالحون لانه لاتوجد عليهم دلالة صريحة في كتاب الله ولا في سنة رسول الله الا اشارات . خاصة وهم بهذه الاهمية وهذه الدرجة .

المبحث الثالث : المريد

1) القاب المريد :

أ– المريد : وهو طالب المرحلة الاولى في الصوفية

[1]: عبد الحكيم عبد الغني قاسم، المذاهب الصوفية و مدارسها، المرجع السابق ، ص127

[2]: محمد بن معروف بن ابي شنافة ، تاج الياقوت وسر الناسوت ، المرجع السابق، ص25

" لفظة المريد عند المحققين من أهل الله تطلق بإزاء المنقطع إلى الله المؤثر جناب الله الساعي في محاب الله ومراضيه وقد يطلقونها بإزاء المتجرد عن ارادته ".[1]

ينظر المعلم في قدراته الذهنية والجسمية ويكلفه من الاعمال ما يطيق ويقدم بعد تفرس في احواله بعلاج اشد امراضه النفسية

قال الغزالي "... بل ينبغي أن ينظر في مرض المريد وفي حاله وسنه ومزاجه وما تحتمله بنيته من الرياضة ويبني على ذلك رياضته. فإن كان المريد مبتدئاً جاهلاً بحدود الشرع فيعلمه أولاً الطهارة والصلاة وظواهر العبادات، وإن كان مشغولاً بمال حرام أو مقارفاً لمعصية فيأمره أولاً بتركها، فإذا تزين ظاهره بالعبادات وطهر عن المعاصي الظاهرة جوارحه نظر بقرائن الأحوال إلى باطنه ليتفطن لأخلاقه وأمراض قلبه ".2

ب– النقيب او السالك : يقرر الشيخ موعد نهاية المرحلة الاولى بالنسبة للمريد وبعداها ينتقل الى مرحلة اعلى من الناحية العلمية فيلقب ب"النقيب" او "السالك" وهذا اللقب معناه درجة علمية عليا .

ج– النجيب او الواصل : في نهاية المرحلة الثانية ينقل الى مرحلة اخرى بعد ان يشعر بذلك اساتذته وقد وضع علماء التربية الصوفية منهجا دراسيا خاصا بها من الناحية العلمية والسلوكية

[1]: محي الدين بن عربي ، الفتوحات المكية ، المرجع السابق ، ص228

[2]: ابو حامد الغزالي ،احياء علوم الدين ، المرجع السابق، ص959

تختلف عما هو موجود في المرحلتين السابقتين وتفرض على الواصل عدة سلوكيات يلتزم بها التزاما كاملا ويحاسب عليها.[1]

ولا يمكن ان تنتفع هذه الرياضة ما لم تصادف نفسا طيبة خالية من عوالق الدنيا متحلية باسباب النجاح خالعة ستار الشهوات عنها مع ارادة قوية .

أما الشروط التي لا بد من تقديمها في الإرادة فهي: "رفع السد والحجاب الذي بينه وبين الحق. فإن حرمان الخلق عن الحق سببه تراكم الحجب ووقوع السد على الطريق .والسد بين المريد وبين الحق أربعة: المال، والجاه، والتقليد، والمعصية ".[2]

قال الشيخ: ان اول باب الوصول الهمة العالية والاردة القوية التي لا تتكئ على التسويف والكسل والبطالة والتثاقل والغفلة عن الله وكثرة النوم

فقال: فاني لبطال يظل مثبطا حليف الكرى غرا بطيئ الافاقة

ينال مقام القوم او يدرك المنى ويفهم عنهم وهو صاحب سكرة

والثاني البعد عن ما يسخط الله تعالى من معاصي بتجديد التوبة ومراقبة النفس وكبح جماح شهواتها لارضاء الله تعالى وحده .

ام كيف رضاء الله يدركه الذي يساخط ربه ويرضي الخليقة

فكيف لمغتاب الورى ذي نميمة يموت شهيدا او على خير ملة

او كيف لمسرف الطعام وشربه يذوق مذاقا او يفوز بشمة

[1]: عبد الحكيم عبد الغني قاسم، المذاهب الصوفية و مدارسها، المرجع السابق ،ص126

2: ابو حامد الغزالي ،احياء علوم الدين ، المرجع السابق، ص 954

وكذا من عرف بالفسوق ونحوه يجازى بفعله القبيح ولعنة

حريصا على دنياه لاه مكثر مناع للخير معتد ذو عتلة

ثالثا لاينال العلوم الالهية ولا يكون اهلا لها من تكاسل عن طلبها وفرط في الاخلاق الحميدة وصحبة اهلها المجتهدين في طريق الله تعالى

فكيف يكون معدا للعلوم مناسبا اخو الكسل والتفريط في خير خلة

اذا امتطى القوم الدجى للتهجد وحاز مقام قربه بالمزية

ثم بين طريق الوصول واول مدارجه التوبة الخالصة من كل الذنوب ثم النصح لدين الله بتطبيقه و الوقوف عند حدوده ولرسوله بمحبته واتباع هديه و للمومنين بالنصح لهم ومحبة الخير ونشره بينهم ورد الظلم عنهم ثم الخطوات العملية وهي طعم الحلال وتعظيم حرمات الله وشكر نعمه والسعي الحثيث في مرضاته.

قال الشيخ : بدايتها للغافلين بتوبة واشراطها محصورة بالتثبت

ونصح لدين الله ثم لرسوله وخاصته والمومنين بجملة

وتطييب لقمة وتعظيم حرمة وشكر لنعمة ورفع لهمة

2) ادب المريد:

لكن مع كل هذا فللمريد السالك آداب نص عليها علماء التربية الصوفية من ذالك :

أ- ان اول ما يجب على المريد ان يعلمه هو ان الامور بيد الله وفضله وان اختياره لهذه الرتبة انما هو بفضل الله تعالى لا بحوله وقوته ، قال الشيخ :

وبعد ففضل الله يوتيه من يشا بمحض تفضل ومن ورحمة

ومهما اجتبى عبدا سعيدا لقربه تخيره و ذلك ليس لعلة

ويمنع من يشاء جل بعدله ويحرم فيض الفضل من غير قلة

ب- الصدق مع الله و تصحيح الاعتقاد والبعد عن البدع و اتباع مذهب اهل الطريق الحق

فاول قدم للمريد في هذه الطريقة ينبغي أن يكون على الصدق، ليصح له البناءُ على أصل صحيح؛ فإن الشيوخ قالوا: إنما حُرم الوصول من ضيع الاصول .

ج- كما عليه التخلص من كل عوالق الدنيا لانها ستكون عوائق في الطريق مع المحافظة على قوته وقوت عياله فلا يكون عالة على غيره ولا مشغولا عن تحصيل العلوم بطلب معاشه .

د- ومن الادب الا يستعجل مرحلة قبل اوانها واخذ الاذن فيها لان من استعجل شيئا قبل اوانه عوقب بحرمانه.[1]

[1] : ابو القاسم القشري النيسابوري الشافعي، الرسالة القشيرية ، المرجع السابق، ص338.

هـ- وان يحرص على الارتقا دائما في سلوكه محافظا على عهوده مع الله وعلى التزامه في الطريقة

قال الشيخ : ولما تفاوضنا المشورة بيننا برمنا عقودا بالعهود الوثيقة

وتبايعنا بيع البت ليس كبيع من يرى البخس ثم يثني بالاقالة

فصرنا وصاروا حلف صدق ووادنا وداد النهي ذوي الصدور السليمة

فوا اسفا لتارك حبل عهدنا عموا وصموا وارتدوا بالقطيعة

و- الا يعتقد الاعتقادات الخاطئة في اهل الطريق والمشايخ مما يوقعه في البدع المضلة بل يحتكم الى الاصول من كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم مع احسان الظن باهل الطريق.[1]

3) الورد :

فان لكل طريقة ورد من الذكر تخص به اتباعها يتدرج حسب تدرج المريد في المراتب له الفاظ محددة واوقات محددة وهو سنة متبعة سنها رسول الله صلى الله عليه وسلم قولا وفعلا وتقريرا فقد كان صلى الله عليه وسلم يداوم على الاستغفار وعلى صلاة اثنا عشر ركعة كل ليلة فان فاته منها شيئ قضاه بالنهار وكذلك فعل اصحابة ومن تبعهم باحسان الى اليوم ويكون الورد سرا بين المريد وشيخه وعهدا بينهما

ماهية الورد:

[1] : ابو القاسم القشري النيسابوري الشافعي، الرسالة القشيرية ، المرجع السابق، ص338.

" الورد اسم لوقت من ليل أو نهار يرد على العبد مكرراً فيقطعه في قربة إلى اللّه ويورد فيه محبوباً يرد عليه في الآخرة؛ والقربة اسم لأحد معنيين: أمر فرض عليه أو فضل ندب إليه، فإذا فعل ذلك في وقت من يل أو نهار ودوام عليه فهو ورد قدمه يرد عليه غداً إذا قدم اي يوم القيامة "[1].

مثال عن الاوراد العامة والخاصة :

وبما ان الورد يشمل كل قربة الى الله سبحانه وتعالى قليلا كان او كثيرا بشرط ان يداوم عليه صاحبه فان صلاة اربع ركعات او قراءة بعض السور من القرءان ويدخل فيه انواع الخير ومساعدة الناس على ما ينفع الصالح العام ، وقد يكون اكثر تخصيصا فيخصص عددا معين من الركعات يداوم عليها او اجزاء مرتبة من القرءان يقرؤها مرتبة كل ليلة. ومنهم من يحدد لها اوقاتا معينة من الليل والنهار "وهذه تسمى اوراد العامة اما الخاصة من اهل الله جعلوا كل اوقاتهم وردا واحدا لله لا ينقطع الا ضرورة ليستأنف من جديد" .[2]

ومما اشتهر من احزاب الشيخ ابا الحسن الشاذلي حزب البحر وحزب الايات وحزب الفتح ويسمى ايضا حزب الانوار.

وحزب الفتح هو: "بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله سيدنا محمد وعلى ءاله وصحبه وسلم اللهم انا نسالك ايمانا لاضد له ونسالك توحيد ا لا يقابله شرك، طاعة لاتقابلها معصية ونسالك محبه

[1] : ابو الطالب المكي ، قوت القلوب ، دار المعرفة بيروت _لبنان ،(ب–ط)،ص 56

[2] : المصدر نفسه ، ص 57

لا لشيء ولا على شيء ...لااله الا الله نور العرش الله، لااله الاالله نور اللح الله ، لااله الا الله نور القلم الله ، لا اله الا الله نور رسول الله ،لا اله الا الله نور سر ذات رسول الله ..."[1].

ومما اشتهر عند الشيخ اسماحي وريث الطريقة الشاذلية حزب الفلاح ويقرأ بعد صلاة الصبح والمغرب وهو " اعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم توكلت على الحي الذي لايموت 3مرات وقل الحمد لله ... الاية 111الاسراء 17

الحمد لله الذي هدانا لهذا

جز الله عنا سيدنا ونبينا محمد صلى الله عليه وسلم افضل ما هو اهله 3مرات

ربنا لا تزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا وهب لنل من لدنك رحمه 8 ال عمران 3

اعوذ بكلمات الله التامة من شرماخلق بسم الله الذي لايضر مع اسمه شئ في الارض ولا في السماء وهو السميع العليم 3مرات[2]... .

[1] : عبد الحليم محمود ، قضية التصوف ، المرجع السابق ، ص 135

[2] :تومي حدة ،المنهج التربوي للعلامة سيد الشيخ ،مذكرة تخرج لنيل لشهادة الماجيستر في علم النفس والتربية،جامعة وهران 2013م ،ص 26 .

خاتمة

خـاتمة :

من خلال دراستنا للتربية الصوفية متبعين في ذلك مارسمته قصيدة الشيخ عبد القادر بن محمد بن سليمان ابي سماحة التي عبر فيها عن تجربته الصوفية بكل صدق وبين أطرها ومراحلها مرتكزا على ما توارثه المشايخ من علوم التصوف والتربية طيلة التاريخ الإسلامي الحافل بالمدارس الصوفية المنتشرة في ربوع العالم الاسلامي والمغرب العربي خصوصا و الذي كان له الدور الفاعل في اثراءها ونقلها، بل وصنع التجربة الصوفية الفاعلة المتبعة لمنهج رسول الاسلام محمد صلى الله عليه وسلم.

فقد بدا التصوف كمظهر من مظاهر الدعوة الاسلامية المتمثلة في سلوك الصحابة اقتداء بالرسول الكريم صلى الله عليه وسلم ، ثم صار حركة تحارب الانغماس في ملذات الدنيا ومتاعها لما اتسعت الامبراطورية الاسلامية ، ثم كان له نصيب من تلقي الافكار الطارئة على الفكر الاسلامي وخاصة مع بروز علوم المنطق والفلسفة ودخول اجناس من الناس الى حضيرة التصوف مما اثر فيه واثراه بافكار ومناهج كانت تساير العصر وتدفع الشبه عن التصوف الاسلامي وربما مالت به بعضها الى ما ينكره اهل الشريعة من اقوال وافعال وافكار

ومعتقدات .

على الرغم من كل هذا بقي التصوف المورد الدائم للتزود بالتربية السليمة الموصلة الى العلوم اللدنية والاسرار الربانية .

ومن خلال القصيدة التائية " الياقوتة " تبن لنا ان التربية الصوفية ترتكز اولا على الذكر والجماعة والشيخ المربي صاحب التجربة الصوفية المأذون له بالتربية المزكى من اقرانه بالولاية ليسير مع مريده عبر مقامات الترقي ويشرح للمريد ما يأتيه من احوال وما يلقى اليه من تجليات ويحفظه من مهالك الطريق ويلقنه الورد ويزيده في الذكر حتى يبلغ به مبلغ الوصول الى الكمال مع مراعات حاله واستعداده النفسي والعقلي .

كما ان المريد لابد ان يستسلم لشيخه وما يامر به من مجاهدات ويقبل توجيهه وارشاده ولا يكتمه شيئا مما يطرأ عليه من احوال كما انه لاينتقل من مقام الى مقام حتى يكون شيخه هو الذي ياذن له ،مع حسن الاعتقاد في الشيخ ورد الامور الى الشرع واخلاص النية فلا يطلب كرامة ولا يستشرف لمعرفة واسرار، حتى يفتح الله عليه ،ويخشى على نفسه الغرور والاستدراج، ولايفشي سرا من الاسرار التي توهب له من الهام الله له او مما اودعه شيخه من علوم حتى يؤذن له في كشفها .

والملاحظ ان هذه الطريقة ت متاحة لكل الناس ذلك انها تتطلب مجاهدة شديدة للنفس وتخلية لها من كل العوالق و تخطي كل عوائق فالسالكون لها لا يصلون الى نفس النتيجة لاختلاف قدراتهم ونفسياتهم وكذا لاختلاف الشيخ المربي وتعامله ودرجة تمكنه في التجربة الصوفية .

لكن الواضح ايضا ان التفوق العلمي في العلوم الظاهرية والشرعية له دور كبير في التمكن والبلوغ وعدم السقوط والزيغ عن الطريق لذلك ركز المشايخ عليها في التربية فكان اول ابواب التربية اخذ

نصيب من العلوم الشرعية لتحصين المريد من سوء الفهم وتزويده بنور العلم وان كان من علماء التصوف ممن هم أميون لكنهم ليسوا جهالا في امور دينهم ودنياهم .

نتائجالبحث :

من خلال البحث تبين مدى البعد الروحي العميق الذي تسعى الطرق الصوفية الى تحقيقه من صفاء وحب وفناء في الله و ما ينعكس من بعد على الحياة النفسية والاجتماعية من دعوة الى الخير و نبذ للعنف ونشر السلام العام والطمئنينة النفسية والاجتماعية وذالك بربط الإنسان بقيم الإسلام السمحة وفق منهج رسين موروث جيلا بعد جيل الى عهد الصحابة و الى رسول الاسلام محمد صلى الله عليه وسلم،منهج متدرج في التربية والترقي له آداب وسلوك ومراحل وشيوخ لهم من التجربة والبصيرة ما يجعل مريد هذه الطريق يصل بلا شك الى الراحة الأبدية ويبعث فيه روح التغيير ومجاهدة النفس ورد الظلم والنهوض بالمجتمع والمساهمة الخيرة فيه بعيدا عن التطرف والعنف والفهم الخاطئ لدين الله.

ومما يظهر جليا لكل متتبع لخطوات هذا البحث مدى التقصير والفراغ الروحي والبعد عن المفهوم العميق للدين أو ما يسميه الصوفية بـ "الحقيقة " وغرق عامة المسلمين وأئمتهم ودعاتهم في التنظير والشكليات الشرعية مما عاد على الدين والمجتمع بالضرر.

توصيات البحث:

فتح المجال للدراسات الصوفية البناءة والأصيلة من المختصين ونشر هذا الوعي الديني .

محاولة تنقية هذا الفكر مما علق به من أفكار وعقائد وفلسفات عبر العصور،والتي كدرت صفوه وأبعدته عن الواقعية والمنطقية،وكانت سببا في توجيه سهام النقد اتجاهه حتى صار يوصف بأنه دخيل على الإسلام وهوفي أساسه يمثل حقيقة الإسلام إذا رد إلى أصوله الأولى .

المساهمة في اثراء هذا الفكر بطرحه للدراسة والبحث والتحليل حتى يمكن الاستفادة منه أكادميا وتوسيع نطاق العمل به لما يحتوي من رصيد معرفي وديني وفلسفي يحمل القيم الانسانية السامية من محبة واخاء وتسامح يمكن من خلالها صد الافكار المتطرفة والغلو في الدين والمحافظة على الهوية الوطنية بل والدفاع عنها.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر و المراجع

1/- القرءان الكريم

2/- صحيح البخاري

3/- صحيح مسلم

4/- كتب السنن : الترمذي والنسائي وابن ماجه ، ابن ابي شيبة ، المنذري

01-إحياء علوم الدين ، أبو حامد الغزالي دار المعرفة، بيروت

02- اداب المريدين ، الحكيم الترميذي و بيان الكسب (ت ح) عبد الفتاح بركة ، مطبعة السعادة ، مكتبة الحكيم الترميذي 1977م

03- مقدمة في التصوف ، ابو عبد الرحمن السلمي (ت ح) يوسف زيدان ، دار الجيل بيروت ط01 ، 1419هـ – 1999م

04- اللمع، ابو نصرالسراج الطوسي ، (ت ح) عبد الحليم محمود و اخرون ، دار الكتب الحديثة ، بمصر ومكتبة المثنى ببغداد، مطبعة السعادة ، القاهرة، 1380هـ /1960م

05- الرسالة القشيرية ، ابو القاسم القشري (ت،ح)عبدالحليم محمود و اخرون ،ج01 ،مطابع مؤسسة دار الشعب، القاهرة، 1409هـ-1989م

06- المنقذ من الضلال ،أبو حامد الغزالي (ت،ح)عبد الحليم محمود ،دار الكتب الحديثة، مصر

07- الانسان الكامل اوالقطب او الغوث الفرد، محي الدين بن عربي، جمع وتاليف محمود الغراب ،مطبعة الكاتب العربي ،دمشق ،ط 02 ،1410هـ . 1990م

08- الفتوحات المكية ، محي الدين ابن عربي (ت،ح) عثمان يحي و اخرون ،المجلس الاعلى للثقافة الهيئة المصرية العامة، للكتاب المكتبة العربية، ط 02 ، 1405هـ – 1985م

09-قوت القلوب، ابو طالب المكي ،دار المعرفة – بيروت- لبنان

10- قواعد التصوف ، احمد زروق ،(ت.ح) عبد المجيد خيالي، دار الكتب العلمية ،بيروت

11- ظهر الاسلام ، احمد أمين ، المجلد 2، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط 5، 1969،

12- مقدمة ابن خلدون ،عبد الرحمن ابن خلدون ، دار الفكر، بيروت، لبنان

13- الطبقات الكبرى ،عبد الوهاب الشعراني ،ط02، دار المعارف ،القاهرة

14-قضية التصوف :المنقذ من الضلال ،عبد الحليم محمود، ،ط05 ،دار المعارف ،القاهرة

15- قضية التصوف : المدرسة الشاذلية ،عبد الحليم محمود ،ط02، دار المعارف ، القاهرة

16- بنية العقل العربي ،عابد الجابري ، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط 01، 1986م

17-فلسفة التربية الصوفية و مدارسها ،عبد الحكيم قاسم، مكتبة مدبولي، القاهرة ،ط2 ، 1999م

18- الامام احمد ابن ابي المحلي مهدي ،عبد الله حمادي الادريسي ،دار بوسعادة للنشر والتوزيع ج1 ،ط 01، 2013م

19- التربية النفسية في المنهج الاسلامي، حسن شرقاوي، ط01، القاهرة ، مكتبة الانجلو المصرية، 1992

20- الطرق الصوفية والزوايا بالجزائر ،صلاح مؤيد العقبي ،دار البرق بيروت لبنان 2002م

21-تاج الياقوت و سر الناسوت، محمد بن معروف بن ابي شنافة ، (ت ح) بن علي محمد بوزيان، مطبعة دار النشر الجسور وجدة المغرب ط01 2009م

22– رياض التهاني فيما حوى ياقوت سيدي الشيخ السماحي من روائع المعاني ،الناصر بونيف دار النشر ابن خلدون ،تلمسان، 2014م

23- ، المذاهب الصوفية ومدارسها، عبد الحكيم عبد قاسم ، مكتبة مدبولي القاهرة 1999م ،ط 02

– القواميس و المعاجم :

01- المنجد في اللغة والأعلام، دار الشرق، بيروت، لبنان، الطبعة38، سنة 2000م،

02-معجم اصطلاحات الصوفية ، عبد الرزاق الكاشاني ، (ت ،ح) عبد العال شاهين، دار المنار ،ط 2، 1992 م

03- لسان العرب ،ابن منظور ،ج 9 ،دار صادق للطباعة والنشر ،بيروت ، 1968م

فهرس البحث :

اهداء	
كلمة الشكر	
المقدمة	
الفصل الاول : مدخل.	06
المبحث الاول : تعريف التصوف	07
المبحث الثاني : مراحل التصوف الاسلامي	14
المبحث الثالث :التعريف بالشيخ	22
الفصل الثاني : مراحل التربية الصوفية من خلال القصيدة	27
المبحث الاول : مرحلة الاعداد الروحي وادابها	28
المبحث الثاني : مرحلة المشاهدات والتلقي وادابها	39
المبحث الثالث: مرحلة التمكين والكمال الروحي والدعوة وادابها	50
الفصل الثالث : منهج التربية الصوفية واركانها.	52
المبحث الاول:منهج التربية الصوفية.	53
المبحث الثاني : الشيخ المربي.	67
المبحث الثالث : المريد	76

الخاتمة.	
قائمة المصادر والمراجع	
الملاحق	
الفهرسة	